فضل لا إله إلا الله وشروطها

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

إعداد

أحمد بن شوقي عمارة



فضل لا إله إلا الله وشروطها

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

إعداد

أحمد بن شوقي عمارة



ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عمارة، أحمد شوقي
فضل لا إله إلا الله وشروطها.
/أحمد شوقي عمارة.- الرياض، ١٤٣٧هـ
١٨٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٠-٤٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨
١- الشهادة (أركان الإسلام) ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٧/٥٨٧

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٥٨٧
ردمك: ٠-٤٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م



المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
فرع مخرج ١٥ ت: ١١٤٤٥٤١٢٤ جوال: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760
Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096
Exit15 -Tel.114454124 Mob. 0506436804
الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com
البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبعد: فقد اطلعت على كتاب (فضل لا إله إلا الله
وشروطها) لمؤلفه أحمد بن شوقي بن عمارة فوجدته وافيا
بالمطلوب مدعما بالأدلة مع حسن الاستفادة من المراجع الموثوقة في موضوع
مهم جدا لكل مسلم. فجزاه الله خيرا على ما قام به ونفع بجهوده
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
في ١٤٢٥/١/٢٤هـ

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده اللهُ تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]؛ أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، **أما بعد:**

فقد روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[1]؛ فأول ركن من أركان الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فـ«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخُلِقت لأجلها جميعُ المخلوقات، وبها أَرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشَرَّع شرائعه، ولأجلها نُصِبت الموازين ووُضِعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٨)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٦).

فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب وهي الحق الذي خُلِقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصِبت القِبلة وعليها أُسِّسَت الملة، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله معرفةً وإقرارًا وعملًا، وجواب الثانية بتحقيق أن محمدا رسول الله معرفةً وإقرارًا وانقيادًا وطاعةً»[1].

وهي الكلمة العالية، والشريفة الغالية، من استمسك بها فقد سَلِم، ومن اعتصم بها فقد عُصِم[2]، ومن أجلها حورب النبي ﷺ من الكافرين والمشركين وافتروا عليه الافتراءات فقالوا عنه شاعر وكاهن وساحر ومجنون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [فاطر: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وأيضًا باقي الأنبياء والمرسلين لقوا الأذى من قومهم واتُّهموا بالسَّفه والجنون والكذب حتى نصرهم الله تعالى وأيدهم بتأييده ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وكل هذا من

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٦).

(٢) الدرر السنية (٢/ ١١٢)، من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

أجل إقامة الدين وإعلاء كلمة الله «**لا إله إلا الله**» والإيمان بالله وحده والكفر بكل ما يُعبد من دون الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكان الكفار والمشركون يعرفون معنى «**لا إله إلا الله**» ويعرفون أنهم إذا قالوها وجبت عليهم أشياء لذلك أبوا إباءً شديدا أن يتلفظوا بها وينطقوها لأنهم يعلمون مدلولها، فأنكروا هذه الكلمة كما ذكر الله تعالى في كلامهم فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص:٥-٧]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، وغيرها من الآيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه وقصصهم مع الأنبياء والمرسلين، فكانوا يعرفون ما ينبني على هذه الكلمة من أمور وأحكام.. وغير ذلك.

والناظر في مجتمعاتنا الحالية يجد عكس ما كان عليه الكفار، فكثير من أهل زماننا ينطقون «**لا إله إلا الله**» ويتلفظون بها لكنهم لا يُقيمون شروطها ولا يَعرفون مدلولها بل ويفعلون ما يناقضها من أفعال وأقوال.

«صاروا يقولون: لا إله إلا الله، والشرك قد قام في قلوبهم، واتخذوه دينا، فأثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة، بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حق الله على عباده، فيقول قائلهم: لا إله إلا الله، وقد اعتقد عكس ما دلت عليه؛ وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات، فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت؛

هذا وَهُم فيما يَقرَؤونه، ويُقرِؤُونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطونه من العلوم، لا يجهلون مثل هذا.

وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى، فسبحان الله! كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد الله، ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم إن وفق لفهمه، فوضعوا الشرك موضع التوحيد، بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك، بالإنكار على من دعا إليه وعداوته!

فبهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ»[١]، فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها مَن تمسك بالحق المبين في هذه القرون المتأخرة»[٢]،، وإلى الله الشكوى.....

لذلك قمت بوضع بعض فضائل هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله»، ووضعت شروطها مع بعض التفصيل من غير تقصير ولا تطويل؛ عسى الله أن ينفع بهذه الكلمات، والله أسأل أن يتقبل منا ويجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين، وأن يهدي بنا ويجعلنا سببا فيمن اهتدى، إنه سبحانه خير مسئول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه

أحمد بن شوقي بن عمارة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٤٥).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢١٥- ٢١٦) من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ

باب

معنى «لا إله إلا الله»

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

واعلم أن «لا»: نافية للجنس، واسمها «إله» مبني على الفتح، وخبرها محذوف وتقديره «حق»، «إلا»: أداة استثناء، والمستثنى: لفظ الجلالة «الله»[(١)]، فتكون: لا إله بحق إلا الله.

قال العلامة ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص فدلالتها على الإثبات أعظم من دلالة قولنا: «الله إله» ولا يستريب أحد في هذا البتة.ا.هـ[(٢)].

ولهذا فنحن نُبطل كل ما يُزعم من آلهة أخرى، ونقول: أن كل إله غير الله [وعبادته][(٣)] باطل وكذب ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا أو وليا محترما ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ

---

(١) مستفاد من رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الدرر السنية (٢/ ٣٢٦: ٣٣١).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٥٨).

(٣) ما بين المعكوفين تعليق شيخنا الوالد العلامة/ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله تعالى –.

ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ٣]، وقال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإله هو الذي تألهه القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإله هو: الذي تألهه القلوب، محبة وإجلالا، وإنابة، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا، وخوفا، ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه، ودعاء له، لا يصلح ذلك كله إلا لله؛ فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك[٢].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يُعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عَزَّ وَجَلَّ[٣].

والإله: هو المعبود، فـ «لا إله إلا الله»: أي لا معبود بحق إلا الله، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإله هو: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له،

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٦).

(٢) نقلا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، الدرر السنية (٢/ ٢١٧).

(٣) كلمة الإخلاص ومعناها، ص(٢٣).

وهو الله وحده، فمن نذر لغير الله، أو ذبح لغيره، فقد عبَد غيره[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم - رحمك الله -: أن معنى لا إله إلا الله، نفي وإثبات: «لا إله»: نفي، «إلا الله»: إثبات؛ تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع؛ المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

وتثبت أربعة أنواع: القصد - كونك ما تقصد إلا الله -، والتعظيم، والمحبة، والخوف والرجاء[٢].

فاعلم: أن معنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده، لا شريك له، ليس فيها حق لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]. ا.هـ[٣].

فاعلم -رحمك الله- أن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) الدرر السنية (٢/ ١٢٧) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢٢- ١٢٣) باختصار.

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٠٢- ١٠٣).

ومعنى: ﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾، أي: نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله(١).

وعلى هذا نكون قد عرفنا أن «معنى شهادة: أن لا إله إلا الله، أن يقولها نافيا قلبه ولسانه الإلهية عن كل ما سواه، ومثبتها لمستحقها، وهو الله المعبود بالحق؛ فيكون معرضا بقلبه عن جميع المخلوقات، لا يتألههم فيما لا يقدر عليه إلا الله، مقبلا على عبادة رب الأرض والسماوات؛ وذلك يتضمن إرادة القلب في عبادته ومعاملته، ومفارقته في ذلك كل ما سواه؛ فيكون مفرقا في علمه وقصده، وشهادته وإرادته، ومعرفته ومحبته، بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالما بالله، ذاكرا له، عارفا به، وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم بعبادته وأفعاله، وصفاته؛ ويكون محبا له، مستعينا به لا بغيره، متوكلا عليه لا على غيره، وهذا هو معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي من خصائص الإلهية، كما أن رحمته لعبيده، وهدايته إياهم، وخلقه السموات والأرض وما فيهما من الآيات من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها: المؤمن والكافر، والبر والفاجر»(٢).

وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبتَّ الإيجاب لله تعالى، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله(٣)، والطاغوت: هو ما يُعبد من دون الله(٤)، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٣٠٥- ٣٠٦) من كلام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) من كلام الوزير أبي المظفر في الإفصاح، نقلا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، الدرر السنية (٢/ ٢١٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٥١).

عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد: معنى هذه الكلمة؛ وأما: التلفظ باللسان، مع الجهل بمعناها، فلا ينفع؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار.ا.هـ(١).

ونحن نقول: لا إله إلا الله، ليست باللسان فقط، لا بد للمسلم إذا لفظ بها، أنه يعرف معناها بقلبه؛ وهي التي جاءت لها الرسل، وإلا فالـمُلك ما جاءت الرسل له.(٢).

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين – رحمه الله تعالى –: ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور، والذبائح، فهذا مشرك، شاء أم أبى، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله فهو كافر. ا.هـ(٣).

وكثير من الناس – اليوم- إذا سئلوا: ما معنى لا إله إلا الله؟ فيقولون:لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله. فما يعرف من هذه الكلمة مراد ما مِن أجله خُلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٢٦].

«فإذا قيل: لا خالق إلا الله، فهذا معروف، لا يخلق الخلق إلا الله، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإذا قيل: لا يرزق إلا الله، فكذلك؛ فإذا

---

(١) الدرر السنية (٢/ ١٠٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢٩).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣١٣).

قيل: لا إله إلا الله، فكذلك، فتفكر - رحمك الله- في هذا، واسأل عن معنى الإله، كما تسأل عن معنى الخالق، والرازق.

واعلم أن معنى الإله: هو المعبود هذا هو تفسير هذه اللفظة، بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئا، فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد، وهو: الله وحده، تبارك وتعالى علوا كبيرا»[١].

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مُقرِّينَ بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال[٢].

٥+٥+٥

(١) المرجع السابق، من كلام شيخ الإسلام/ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ١٠٣).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٣٩) بتصرف.

باب
من قال لا إله إلا الله دخل الإسلام

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤].

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«مَن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرَّم اللهُ عليه النارَ»**[١].

وعنه رضي الله عنه في الصحيحين: عن النبي ﷺ، قال: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**[٢].

ولهما: عن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقتُ أنا ورجل من

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٩).

(٢) صحيح البخاري:كتاب الأنبياء (٣٤٣٥)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٨).

الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكفَّ عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: فما زال يكررها عليَّ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١).

وفي رواية عند مسلم: قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يُكَرِّرُهَا عليَّ حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ(٢).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»(٤): معناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبيَّن منه ما يناقض ذلك. ا.هـ باختصار.

وفي صحيح مسلم(٥): عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: يا رسول الله،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الديات (٦٨٧٢)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٦).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٧)، من رواية جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٢٩).

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٥).

أرأيت إن لقيتُ رجلا من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال:أسلمتُ لله، أفأقتله يا رسول الله، بعد أن قالها؟ قال: رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال». وفي رواية معمر بن راشد: فلما أهويت لأقتله قال: لا إله إلا الله.

o+o+o

باب
ليس كل من يقول لا إله إلا الله يكون مسلمًا

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]، وقال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]،،،وغيرها من الآيات.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»**(١).

وفي رواية - عند البخاري - عن أنس بن مالك رضي الله عنه: **«فإذا قالوها، وصلُّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حَرمت علينا دماؤهم**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٢٥)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٢).

وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»(١).

والمقصود: «بحقها» أي: حق الإسلام، كما جاء في رواية عند البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(٢).

وحق الإسلام يكون في أمرين:

الأول: الدماء والأنفس. **الثاني:** المال.

فالأول لا يكون إلا في ثلاثة أشياء، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»(٣).

فأما النفس بالنفس: أي القصاص والقَوَد، وذلك لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٨] ولقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأما الثيب الزاني: فهو المحصن ويدخل فيه الذكر والأنثى، وهو حجة على ما اتفق عليه المسلمون من أن حكم الزاني - المحصن: الذي تزوج ولو

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٣٩٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٢٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الديات (٦٨٧٨)، صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات(١٦٧٦).

لساعات– الرجم بشروطه المذكورة في أبواب الفقه(١).

وقد ثبت رجم الزاني المحصن في سُنَّةِ النبي ﷺ، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله» – ثم قال – «اغد يا أُنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»، قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسولُ الله ﷺ، فرُجمت(٢).

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم»(٣).

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فإني قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يَكذب علَـيَّ، إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أَنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رَجَمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيَضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف»(٤).

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، ص(٦٦).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشروط (٢٧٢٤)، صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات(١٦٩٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود (١٦٩٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحدود (٦٨٣٠)، وهو في صحيح مسلم مختصرا: كتاب الحدود (١٦٩١).

وأما «المارق من الدين التارك للجماعة»: أي المرتد عن الإسلام، لقول النبي ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه»(١).

فهذا حق الإسلام في النفس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

والثاني: حق الإسلام في المال وهو الزكاة، وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه مَن قاتل بسبب منعهم الزكاة.

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان. وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله. وقد حُكي عنهم أنهم قالوا: إن الله أمر نبيه بأخذ الزكاة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير (٣٠١٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة (١٣٩٩- ١٤٠٠)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٠).

بقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقد سقطت بموته.ا.هـ[(١)].

قال الحافظ ابن رجب: فَهِم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانع الزكاة وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وقال – أي: الصِّدِّيق – الزكاة حق المال.

كما دلّ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد؛ فلمّا قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابا، فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا تُرفع عمن أدى الشهادتين مطلقا بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة.ا.هـ[(٢)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن أهم ما على المسلم اليوم: تأمل هذه القصة، التي جعلها الله من حججه على خلقه إلى يوم القيامة؛ فمن تأمّل هذه تأملا جيدا، خصوصا إذا عرف أن الله شهرها على ألسنة العامة؛ وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر في ذلك، وجعلوا من أكبر فضائله وعلمه: أنه لم يتوقف عن قتالهم أول وهلة، وعرفوا غزارة فهمه في استدلاله عليهم، بالدليل الذي أشكل عليهم فرد عليهم بدليلهم بعينه، مع أن المسألة موضحة في القرآن والسنة. أما القرآن، فقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٩).

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب الحنبلي ص(١٧-١٩) باختصار.

سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى»[1].

فهذا كتاب الله الصريح للعامي البليد، وهذا كلام رسول الله ﷺ، وهذا إجماع العلماء الذي ذكرت لك، فمن بعدهم تريد؟! فما بعد هذا إلا الضلال البعيد، أو تسويل كل شيطان مريد. والذي يعرفك هذا: معرفة ضده، وهو أن العلماء في زماننا، يقولون: من قال: لا إله إلا الله فهو المسلم، حرام المال والدم، لا يكفر، ولا يُقاتَل، حتى إنهم يصرحون بذلك في البدو الذين يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع كلها، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله؛ ولو يطلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله، لعدُّوه من أكبر المنكرات.

ومن حيث الجملة: إنهم يَكفُرون بالقرآن من أوله إلى آخره، ويَكفرون بدين الرسول كله، مع إقرارهم بذلك، وإقرارهم أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم، وهو كفر بشرع الله؛ وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله، ويقولون: ما فيهم من الإسلام شعرة، لكن من قال: لا إله إلا الله، فهو المسلم، حرام المال والدم، ولو كان ما معه من الإسلام شعرة.

وهذا القول، تلقته العامة عن علمائهم، وأنكروا ما بيَّنه الله ورسوله، بل كفَّروا من صدَّق اللهَ ورسولَه في هذه المسألة، وقالوا: من كفَّر مسلما فقد كفر؛ والمسلم عندهم: الذي ليس معه من الإسلام شعرة، إلا أنه يقول لا إله إلا الله.

---

(١) سبق تخريجه.

فاعلم رحمك الله: أن هذه المسألة أهم الأشياء عليك، لأنها هي الكفر والإسلام؛ فإن صدَّقتهم فقد كفرت بما أنزل الله على رسوله، كما ذكرنا لك من القرآن والسنة والإجماع، وإن صدَّقت اللهَ ورسولَه، عادوك وكفَّروك؛ وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول، فهذه المسألة، قد انتشرت في الأرض، مشرقها ومغربها، ولم يسلم منهم إلا القليل.ا.هـ[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، وأنه ليس المراد منها مجرد النطق، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرمًا، أو أبى عن فعل الوضوء مثلًا بل يقاتل على ذلك حتى يفعله، فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه، وأثنى على أهله، ووالى عليه، وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله، وتبرأ منه، وحارب أهله، وكفَّرهم، وصدَّ عن سبيل الله كما هو شأن عُبَّاد القبور، وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله، وهو مشرك أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد.ا.هـ[2].

«وليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال. فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، أنا مسلم، أنا من أهل السنة والجماعة، وهو من أعداء الإسلام وأهله، منابذ لهم بقوله وفعله، لم يَصِر بذلك مؤمنا، ولا مسلما، ولا من أهل السنة والجماعة، ويكون كفره مثل اليهود، فإنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم.

فإن أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومضمون شهادة أن لا إله إلا الله ألا يعبد إلا الله وحده، فلا يُدعى إلا هو، ولا

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٨٤- ٣٨٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص(١١٧).

يُستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُخاف إلا منه، ولا يُرجى إلا هو، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

فكل من دعا مخلوقا، أو استغاث به، أو جعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو انصرني، أو اقض ديني، أو اشفع لي عند الله، في قضاء حاجتي، أو أنا متوكل على الله وعليك، فهو مشرك في عبادة الله غيره، وإن قال بلسانه: لا إله إلا الله، وأنا مسلم.

وقد كفّر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مانعي الزكاة، وقاتلوهم، وغنموا أموالهم، وسَبُوا نساءَهم، مع إقرارهم بسائر شرائع الإسلام، وذلك لأن أركان الإسلام، من حقوق لا إله إلا الله، كما استدل به أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمر، حين أشكل عليه قتال مانعي الزكاة، فكيف بمن كفر بمعنى لا إله إلا الله؟ وصار الشرك وعبادة غير الله هو دينه، وهو المشهور في بلده، ومن أنكر ذلك عليهم كفَّروه، وبدَّعوه، وقاتلوه، فكيف يكون مَن هذا فعله مسلما من أهل السنة والجماعة، مع منابذته لدين الإسلام، الذي بعث الله به رسولَه ﷺ من توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، إلى غير ذلك من المجاهرة بالكفر، والمعاصي، واستحلال محارم الله ظاهرا؟!(١).

(١) الدرر السنية (١/ ٢٩١- ٢٩٣) من كلام الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، باختصار.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»[(١)]: والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] أي: فتثبتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.ا.هـ.

وسُئِل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث: «صلوا على من قال لا إله إلا الله»، فقال: المراد أهلها حقًا، وهو من نطق بلفظها، عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، ولم يأت بما ينقضه. إلا أن عوام المسلمين نطقهم بها نطق رضوخ ودينونه. وليس كل من يقولها يُصلى عليه. اليهود يقولونها ولا يصلى عليهم، وابن الجوزي ضعَّف هذا الحديث إلا أن معناه صحيح فمعنى الحديث الصلاة على أهل الإسلام الذين لهم معاصي لم تخرجهم عن الإسلام، فضلًا عمن يقولها حقًا من معرفة معناها والعمل بموجبه والبعد عما ينافيه.ا.هـ[(٢)].

«ومن تلبيس إبليس، ومكيدته لكل جاهل خسيس أن يظن أن ما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين، لا يتناول من شابههم من هذه الأمة، ويقول إذا استدل عليه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية: هذه الآيات نزلت في المشركين، نزلت في اليهود، نزلت في النصارى؛ ولسنا منهم.

وهذا من أعظم مكائده، وتلبيسه، فإنه فَتن بهذه الشبهة كثيرا من الأغبياء والجاهلين، وقد قال بعض السلف - لمن قال له ذلك -: مضى القوم وما يعني به غيركم. وقال بعض العلماء: إنَّ مما يحول بين المرء وفهم القرآن أن يظن أن ما ذم الله

(١) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٢٩).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (٣/ ١٨٤-١٨٥) باختصار.

به اليهود والنصارى والمشركين، لا يتناول غيرهم، وإنما هو في قوم كانوا فبانوا، وقد قال الإمام الحافظ سفيان بن عيينة - وهو من أتباع التابعين -: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا، ففيه شبه من النصارى[(١)].

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين[(٢)] وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». وهذا لفظ البخاري. والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة! كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتتبعنهم، حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه»[(٣)].

فكيف يظن من له أدنى تمسك بالعلم، بعد هذه الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، أن هذه الأمة لا تشابه اليهود والنصارى، ولا تفعل فعلهم، ولا يتناولهم ما توعد الله به اليهود والنصارى إذا فعلوا مثل فعلهم؟ ومن أنكر وقوع الشرك والكفر في هذه الأمة فقد خرق الإجماع، وسلك طريق الغي والابتداع»[(٤)].

o+o+o

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء (٣٤٥٦)، صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٦٩).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٤/ ٣٤٢).

(٤) الدرر السنية (١/ ٢٨٨-٢٨٩) من كلام الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى.

باب

فضائل لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾،قال: لا إله إلا الله.ا.هـ[١].

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦] قال علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾: لا إله إلا الله.ا.هـ[٢].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٤- ٢٥]؛

قال ابنُ القيم –رحمه الله تعالى–: شبَّه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٥٠).

(٢) المرجع السابق (٢٢/ ٢٥٣-٢٥٥).

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: «الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله» فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت قول لا إله إلا الله، في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء»[1].

فإنه سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت؛ بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا.

---

(١) راجع تفسير ابن أبي حاتم لهذه الآية.

فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كَلِما كثيرا طيبا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.ا.هـ[١].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–: إذا قلت: «لا إله إلا الله»، فإن كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها في الثمرة، فأنت منافق، وإن كان مسكنها منك القلب، فأنت مؤمن؛ وإياك أن تكون مؤمنًا بلسانك دون قلبك. فتنادي عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة: إلهي صحبته كذا وكذا سنة، فما اعترف بحقي، ولا رعى لي حرمتي حق رعايتي؛ فإن هذه الكلمة تشهد لك، أو عليك.

فعالم الفضل تشهد لهم بالاحترام، حتى تدخلهم الجنة؛ وعالم العدل تشهد لهم بالاحترام، حتى تدخلهم النار ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

لا إله إلا الله: شجرة السعادة؛ إن غرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح، رسخت عروقها، وثبت ساقها،

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٣٢- ١٣٣) باختصار.

واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أكلها ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وإن غَرَست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العذر ولفحها هجير هجر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القذر، ومزقتها كل ممزق ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. ا.هـ[1].

٥٠٥٠٥

(١) الدرر السنية (٢/ ١١٤- ١١٥).

فصل

أصل الثبات لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبر- سبحانه - أنه يُثبِّت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت، فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم، وثبَّت المؤمنين بفضله لإيمانهم، وتحت- هذه - الآية كنز عظيم من وُفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانها، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤]، فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أُمر به العبد، فبهما يُثبِّت اللهُ عبدَه، فأثبت الناس قلبا أثبتهم قولا، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب، **وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها**، فهي أعظم ما يُثبت اللهُ بها عبدَه في الدنيا والآخرة فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم. ا.هـ[1].

٥٠٥٠٥

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٣٥- ١٣٦) باختصار.

فصل

أفضل الذكر لا إله إلا الله

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**»(١).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، أنه قال: «**يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا

---

(١) حسن: رواه الترمذي: أبواب الدعوات (٣٣٨٣)، وابن ماجه: كتاب الأدب (٣٨٠٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق (٣/ ١٢٦)، رقم (٨٤٦)، وكل الأسانيد مدارها على موسى بن إبراهيم ابن كثير بن بشير الأنصاري، قال المزي في (تهذيب الكمال): ذكره ابن حبان في كتاب الثقات ا.هـ. وزاد ابن حجر في تهذيب التهذيب: وتتمة كلامه – أي: ابن حبان –: وكان يخطئ.ا.هـ. ولهذا قال عنه في التقريب: صدوق يخطئ، من الثامنة.ا.هـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث.ا.هـ.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٢٠).

رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**»(٢).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»(٣).

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» قال: «**ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة**»(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله وإحسانه فإنه لا يظلم الناس شيئا فلا يعاقب أحدا إلا بذنبه، وهو يحسن إليهم فكل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل. فقوله: «**لا إله إلا أنت**»:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة (١٠٠٦).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٤٠٤)، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٣).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٥).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٣٠٦).

فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها إثبات إحسانه إلى العباد فإن «الإله» هو المألوه، والمألوه: هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل.ا.هـ[1].

٥+٥+٥

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩).

فصل

لا إله إلا الله حِرزٌ من الشيطان

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكَّلَني رسولُ الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ- فذكر الحديث -، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان**»(٢).

o+o+o

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق (٣٢٩٣)، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوكالة (٢٣٢٢)مختصرا، وقد اختصره البخاري برقم (٣٢٧٥) و(٥٠١٠).

فصل

الاستقامة على لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هم الذين لم يُشركوا بالله شيئًا، وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله[1].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللَّهُ: البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث[2].

﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾: أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه[3].

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: نحن المتولُّون لحفظكم، ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجا

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) تفسير البغوي (٧/ ١٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٧).

من كل مخافة[١].

عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدًا بعدك- وفي رواية: غيرك- قال: «قل: آمنت بالله فاستقم»[٢].

٥٥٥

(١) فتح القدير (٤/ ٥٩٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٨).

فصل

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»(١).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»(٢).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٣).

عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلا. فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك إمرة ابن عمك- يعني أبا بكر - يا أبا فلان؟ قال: لا. إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩١٦-٩١٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس (٥٨٢٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٩٤) مكرر.

(٣) صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٠٣٤) و(٢٢١٢٧)، وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز (٣١١٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٠٣-٤٠٤)، والحاكم في المستدرك (١٢٩٩)، والبزار في مسنده (٧/ ٧٧)، وغيرهم من طريق عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ به، وهذا إسناد حسن، لكن الحديث يتقوى إلى الصحة لشواهد له، منها ما رواه مسلم في حديث أبي ذر السابق، وما رواه ابن حبان في صحيحه (٣٠٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطبراني في الأوسط (١/ ١٨٠) (٥٧٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ «لم يدخل النار»، وغيرها. والله أعلم.

موته، إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته». قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي قال: وما هي؟ قال: «تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله» قال طلحة: صدقت هي والله هي[١].

وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده، وكانت له نورا يوم القيامة»[٢].

o+o+o

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٨٤) و(١٣٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٩٨-١١٠١).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٤٠٢) (١٠٨٧١)، سنن ابن ماجه، كتاب الأدب (٣٧٩٥)، مسند البزار (٩٣٠).

فصل

من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها دخل الجنة

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم قال** -أي: المؤذن- **لا إله إلا الله، قال**-أحدكم-: **لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة**»[١].

وجاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»[٢].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة (٣٨٥).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

فصل

من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها خرج من النار

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يُغِيرُ إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «**على الفطرة**» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**خرجتَ من النار**» فنظروا فإذا هو راعي معزى(١).

وعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه**»(٢).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار**»(٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذَرَّةٍ من خير**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة (٣٨٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم(٦٩٣٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان(٣٣)، وهذا لفظه.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم (١٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٢)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٤٤)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٩٣).

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النبي ﷺ: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك - أو قال: ليس ذاك إليك - ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله»[1].

٥٠٥٠٥

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٧٥١٠)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٩٣) مكرر، وهذا لفظه.

باب
شروط لا إله إلا الله

والشرط: هو ما لا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم، ولكنه يلزم من عدمه عدم المشروط[١]، وقيل: هو ما كان عدمه يستلزم عدم الحكم[٢]، ومعنى ذلك: أن عدم الشرط يلزم وجود حكم الضدِّ، أو يلزم من عدم وجوده العدم، فمن لم يحقق شرط الشيء لم يحقق الشيء ولم يصح؛ فالوضوء – مثلا – شرط للصلاة، فمن صلَّى بلا وضوء فلا صلاة له، كما جاء ذلك عن النبي ﷺ فقال: «لا يقبل اللهُ صلاةَ أحدِكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[٣]. وفي رواية: «لا تُقبل صلاةٌ بغير طهور»[٤]، فلما انتفى الشرط انتفى الحكم وثبت حكم ضدِّه، أي: فلما انتفى الوضوء والطهارة انتفت صحة الصلاة وثبت بطلانها.

ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القواعد الأربعة»: فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد – لأن الإخلاص والتوحيد شرط في قبول العمل–، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة. ا.هـ[٥] بتصرف.

---

(١) مذكرة في أصول الفقه، للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٢٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحيل (٦٩٤٥)، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة (٢٢٥)وهذا لفظ البخاري.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الطهارة (٢٢٤).

(٥) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٤٤).

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من قالها[١] معتقدا معناها — وكان عاملا بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمنا — يبعث يوم الحشر ناج آمنا[٢]

وعليه فمن لم يحقق شروط لا إله إلا الله ومقتضاياتها وملزماتها لم يقم بها ولم يدخل تحت هذه الكلمة العظيمة، ولذلك قال الحافظ ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع.ا.هـ[٣].

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل لوهب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح لك».ا.هـ[٤].

وعن الحسن بن عميرة، قال: قيل للحسن- أي: البصري-: إن ناسا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقَّها وفرضَها، دخل الجنة.ا.هـ[٥].

---

(١) أي: قال: لا إله إلا الله.

(٢) معارج القبول شرح سلم الوصول، (٢/ ٥٠٩).

(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها.لابن رجب ص١٣

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، الباب الأول.

(٥) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري الجرجاني(١/ ١٦)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٥٢٢)، ورسالته السابقة.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومـن لم يقيـدها بكـل شروطهـا   كما قاله الأعلام مـن كـل مهتـدِ
فليس على نهج الشـريعـة سالكا   ولكــن عــلى آراء كــل ملــدِ[1]

وقال:

وما لم تقم هذي الشروط جميعها   بقائلها يوما فليس على الهدي[2]

٥+٥+٥

(١) الدرر السنية (١/ ٥٨٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٨٣).

فصل

في معرفة شروط لا إله إلا الله

اعلم- وفقك الله تعالى- أن شروط لا إله إلا الله استنبطها العلماء من كتاب رب العالمين ومن سنة نبيه محمد الأمين ﷺ وذلك عن طريق الاستقراء.

فمن العلماء من قال: أنها سبعة شروط، ومنهم من قال: هم ثمانية؛

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد جمع بعضهم شروطها في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها[1]

وليست العبرة بحفظ هذه الشروط بقدر معرفتها والعمل بها والبعد كل البعد عن نواقضها وعدم الإتيان بواحد منها، قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

«وبشروط سبعة» متعلق بقُيدت «قد قيدت» أي: قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار.«وفي نصوص الوحي» من الكتاب والسنة «حقا وردت» صريحة صحيحة «فإنه» أي: الشأن وذلك علة تقييدها بهذه الشروط السبعة «لم ينتفع قائلها» أي: قائل لا إله

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٥٠).

إلا الله «بالنطق» أي: بنطقه بها مجردا «إلا حيث يستكملها» أي: هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له: أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان.ا.هـ[١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله تعالى –: وقد قيدت لا إله إلا الله في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لابد من الإتيان بجميعها، قولا، واعتقادا، وعملا.ا.هـ[٢].

०+०+०

---

(١) معارج القبول شرح سلم الوصول (٢/ ٥١٨).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢٤٣).

فصل

في معرفة علماء الحق من علماء الغي والباطل(١)

إن الناس يحبون العلماء ويوقروهم ويعطوهم حقَّهم، وقد مدح الله تبارك وتعالى العلماء وأثنى عليهم كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

والعلماء على قسمين:

١ - علماء دين. ٢ - علماء دنيا.

أما علماء الدين فهم الذين مدحهم الله تعالى في كتابه كما جاء في الآيات السابقة، ويتصفون بالمعتقد السليم المستقيم والعمل الصالح والورع والزهد والخُلق الحسن، ويعملون بسنة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا.

وأما علماء الدنيا فهم الذين ذمَّهم اللهُ في كتابِه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

فالأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤]، وقال تعالى:

---

(١) وإنما عقدت هذا الفصل قبل الشروع في الكلام عن شروط لا إله إلا الله ليتبين للناس من هم علماء الحق الذين يؤخذ عنهم الدين، ومنه هذه الشروط.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]،، وغير ذلك من الآيات؛

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضَبٍّ لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»(١).

فإذا تدبرت هذه الآيات السابقة ومثلها وفهمتها وتدبرت هذا الحديث وفهمته وربطت بين آيات ذكر أهل الكتاب وهذا الحديث وجدت العجب العجاب، خاصة إذا نظرت في أحوال مَن تعرفهم مِمَّن يُطلق عليهم علماء وتُنزِّل عليهم هذه الآيات فسيتضح إليك - إن شاء الله، إن كنت تريد الحق - أمر علماء الدين من علماء الدنيا - سلَّمنا الله وإياك من الفتن ومضلاتها -.

قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم - رحمك الله - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومَن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب.ا.هـ(٢).

وكما قيل:

وعالم بعلمه لم يعملن ... معذَّب من قَبل عُبَّاد الوثن

وأنت أيها الرجل: ترى كثيرا ممن يدعي العلم والفهم، قد عكس مدلول لا إله إلا الله،ككثير من الطواغيت في هذا العصر، فيثبتون ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشرك دينا، وينكرون ما دلت عليه من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٧٦).

الإخلاص، ويشتمون أهله، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر:٢-٣].

وهذا النوع من الناس، الذين قد فُتِنُوا، وفَتَنُوا يستجهلون أهل الإسلام، ويستهزؤون بهم، أسوة من سلف من أعداء الرسل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥][1].

قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا معشر القراء استقيموا، فقد سَبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضَلَلَتم ضلالا بعيدا[2].

٥٠٥٠٥

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٤٥)، من كلام العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢).

باب

الشرط الأول

وهو العلم: وضده الجهل.

أما العلم: فهو معرفة المعلوم على ما هو به[١] في الواقع[٢].

والمقصود به هنا، هو معرفة معنى لا إله إلا الله علما ينافي الجهل، بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها[٣]، وقد تبين أن معنى لا إله إلا الله، هو: البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، كما تقدم؛ وهذا واضح بَيِّن لمن جعل الله له بصيرة، ولم تتغير فطرته، ولا يخفى إلا على من عميت بصيرته، بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم، من أهل الأهواء والبدع والضلال ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠][٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فأمر الله تعالى نبيَّه محمدا ﷺ ظاهرا وأمته بالعلم بلا إله إلا الله، وإن كان الخطاب موجها في الظاهر للنبي ﷺ إلا أن الخطاب من الله تعالى لنبيه على ثلاثة أقسام:

الأول: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه النبي ﷺ فقط، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

---

(١) تعريف القاضي أبي يعلى الحنبلي في كتابه: «العدة في أصول الفقه» (١/ ٧٦).

(٢) هذه الزيادة من تعريف الجويني في كتيبه «الورقات».

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٤٤) من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٣٢).

الثاني: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه النبي ﷺ والأمة، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

الثالث: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه الأمة، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل:معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علما على علمك.ا.هـ(١).

ولا شك أن العلم بهذه الكلمة - لا إله إلا الله – يُبنى عليه العمل، فأي عمل بعيد عن العلم بهذه الكلمة فهو باطل، وهو على قسمين:

الأول: رجل يعمل عمل هذه الكلمة ولا يعلم معناها، فعمله مردود عليه، كرجل يعمل أعمال خير إلا أنه لا يشهد أن لا إله إلا الله، فعمله للخير لم يُقبل، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢١٥).

الثاني: رجل يقول لا إله إلا الله، ويصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، ويعمل أعمال خير، فهذا لم يعلم معنى هذه الكلمة العظيمة لأنه صرف العبادة لغير الله تعالى، فهذا - أيضًا - أعماله باطلة ومحبطة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالعلم بهذه الكلمة أمر متحتم ينبني عليه عمل الإنسان، والعلم يقتضي الإقرار والشهادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛

قال البغوي - رحمه الله تعالى -: وأراد بشهادة الحق:قول لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به ألسنتُهم.ا.هـ[1].

قال ابن الجوزي: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به ألسنتُهم.ا.هـ[2].

وبعد هذا الكلام نعلم أن العلم وحده لا ينفع إلا إذا اقترن بالعمل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فقدَّم العلم عن العمل، قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى -: باب: العلم قبل القول والعمل.ا.هـ[3].

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٧١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، الباب العاشر.

والعلم بهذه الكلمة - لا إله إلا الله – هو الذي يُنتِج العمل الصالح الذي يكون سببا في دخول صاحبه الجنة، كما قال النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»(١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم لا بد فيه من إقرار القلب، ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.ا.هـ(٢).

وأما العلم الذي لم يُنتج عنه قول وعمل فليس بشيء، وحديث وفاة أبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ ليس منا ببعيد، فقد روى الشيخان عن المسيب بن حزن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد «عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك» فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦](٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٦).

(٢) تفسير السعدي، ص (٩٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٦٠)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٤).

فأبو طالب كان يعلم جيدا أن لا إله إلا الله، وكان حاميا للنبي ﷺ ودرعا له ومع ذلك أبى أن يقول لا إله إلا الله مخافة أن تُعيِّره قريش، كما رَوى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦][(١)].

وقد قال أبو طالب أبياتٍ يُظهِر فيها حمايته للنبي ﷺ ويمدح فيها ما جاء به ﷺ ويبين لما لم يتبعه، فقال:

والله لـن يصلوا إليـك بجمعهـم ... حتـى أوسـد في الـتراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليـك غضاضـة ... وأبشـر وقَـرَّ بـذاك مـنك عيونـا
ودعوتني، وعرفتُ أنـك ناصـحي ... ولقـد صَـدَقْتَ، وكنـتَ ثَـمَّ أمينـا
وعرضـت دينـا قـد عرفـت بأنـه ... مـن خـير أديـان البريـة دينـا
لـولا الملامـة أو حِـذار مسـبة ... لوجـدتني سـمحًا بـذاك مبينـا[(٢)]

وقال:

لعمري لقـد كُلِّفـتُ وجـدا بأحمـد ... وإخوتـه دأب المحـب المواصـل
فمـن مثلـه في النـاس أي مؤمـل ... إذا قاسه الحكـام عنـد التفاضـل؟
حليـم رشـيد عـادل غـير طـائش ... يـوالي إلهـا لـيس عنـه بغافـل
فـوالله لـولا أن أجـيء بسـبّة ... تُجـر عـلى أشـياخنا في المحافـل
لكنـا اتبعنـاه عـلى كـل حالـة ... من الدهر جدا، غير قـول التهـازل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٥) مكرر.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص(٩٥-٩٦).

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا، ولا يعنى بقول الأباطل
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل[١]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن أشهر ذلك: قصة عمه أبي طالب لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته. وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة. وصبر عليها، ومع ذلك كان مصدقًا له، مادحا لدينه، محبا لمن اتبعه، معاديًا لمن عاداه، لكن لم يدخل فيه. ولم يتبرأ من دين آبائه، واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه. ولولا ذلك لاتَّبعه. ولما مات - وأراد النبي ﷺ الاستغفار له - أنزل اللهُ عليه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فيا لها من عبرة ما أبينها! ومن عِظة ما أبلغها! ومن بيان ما أوضحه! لما يظن كثير ممن يدعي اتباع الحق فيمن أحب الحق وأهله، من غير اتباع للحق، لأجل غرض من أغراض الدنيا.ا.هـ[٢].

«وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كلٌّ مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

---

(١) المرجع السابق، ص(٩٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٤-٣٥).

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنِّعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالله تعالى ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي تعبد من دون الله، واتُّخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

التاسع: التفكر والتدبر في آياته ومخلوقاته، مما يدل على أنه المستحق بالعبادة وحده لا يُشرَك معه أحد في عبادته، كما أنه لم يُشرِك معه أحدٌ في خلقه وملكه وأمره.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده علم بذلك ويقين، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشُّبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره»[1].

والعقيدة التي تنبني على علم بخلاف التي لا تنبني أو تُبنى على جهل وضلال، ولهذا قرن الله تعالى شهادة أولي العلم بشهادته في وحدانيته سبحانه فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

o+o+o

(١) تفسير السعدي، ص (٩٢٨-٩٢٩)، بتصرف.

فصل

وضد العلم الجهل

والجهل هو: تبين المعلوم على خلاف ما هو به[(١)]؛ وقيل: تصور الشيء على خلاف ما هو به[(٢)].

والجهل بهذه الكلمة «لا إله إلا الله» من أجهل الجهل فإن الله تبارك وتعالى ذمَّ الذين يعتنون بعلوم الدنيا وهم غافلون وجاهلون بالعلوم الشرعية التي هي الوسيلة للنجاة من النار والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

والجهل لا يُحِب أن ينتسب إليه أحد لأنه مذمة، وإن كان بعضه لا يُذم صاحبه، أما الجهل بالأمور الأساسية التي تُطلب من كل إنسان كتوحيد الله تبارك وتعالى فهذا مذموم؛

والجاهل بهذا على أنواع:

الأول: أن يكون الخطاب الذي يُخاطب به على غير لغته، فلا يدري ما يُقال له، فكأنه أصم.

الثاني: أن يكون في بادية بعيدة لم يسمع بهذا الدين من قبل.

الثالث: أن يكون على دين معين وظن أن هذا هو الحق وأن ما عداه هو الباطل، وعاند في ذلك وتكبَّر.

---

(١) العدة في أصول الفقه (١/ ٨٢).

(٢) متن الورقات في أصول الفقه.

الرابع: أن يكون قد سمع بدين الإسلام والاستقامة عليه وبمن يدعو إليه ويُؤمِن به لكنه خالف ماجاء به الإسلام – وإن نطق الشهادتين – وأعرض عنه.

فأما الأول والثاني فلم تقم عليهما حجةُ الإسلام، وحكمهما في الدنيا أنهما كافرين، يعاملان معاملة الكفار، لأنهما لم يدخلا في الإسلام، والله عَزَّوَجَلَّ لن يقبل دينا غير دين الإسلام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولحديث النبي ﷺ: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»[(١)]، وقد قال النبي ﷺ – أيضًا – لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»[(٢)].

وأما حكمهما في الآخرة، فيُختبران يوم القيامة – على الصحيح –، ولن يُعذبا في أول الأمر لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولما دلَّ على ذلك حديث النبي ﷺ، قال: «أربعة يوم القيامة يعني يدلون على الله بحجة رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في فترة فيقول: رب ما آتاني الرسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ويرسل إليهم أن ادخلوا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٢١) مكرر.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١٤).

النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها ما كانت عليهم إلا بردا وسلاما»(١).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى – : فهي – أي: الحديث السابق وشواهده ومروياته – تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله في الدنيا، فلا بد أن يقيم حجته عليهم، وأحق المواطن أن تقام فيه الحجة يوم يقوم الأشهاد، وتسمع الدعاوى، وتقام البينات، ويختصم الناس بين يدي الرب، وينطق كل أحد بحجته ومعذرته، فلا تنفع الظالمين معذرتهم وتنفع غيرهم(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.ا.هـ(٣).

وقال – رحمه الله تعالى – أيضًا: والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاءَ به، فما لم يأْت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرًا معاندًا فهو كافر جاهل. فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارًا فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عنادًا وإما جهلًا وتقليدًا لأهل العناد.ا.هـ(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (١٦٣٠١ – ١٦٣٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والبيهقي في الاعتقاد، باب: القول في الأطفال أنهم يولدون على فطرة الإسلام، ص(١٨٤-١٨٥)، وغيرهم؛ وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

(٢) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٢/ ١١٤٩-١١٥٠).

(٣) طريق الهجرتين، ص(٤١٤).

(٤) المرجع السابق، ص(٤١١).

وأما الثالث: فهذا كافر، يجب عليه ما يجب على الكفار، وذلك لأنه تدين بغير الإسلام وظن أن دينه هو الحق ونافح في ذلك وعاند وتكبر، وقد يفرح بما عنده من العلم،كما قال الله في مثل هذا ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر: ٨٣]، وقد يكون عنده حجج واهية كما قال بعضهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فهذا وأمثاله لا يُطلق عليهم جهال بل يُقال: معاندون. ويقال على كفرهم أنه: كفر عناد.

وأما الرابع: فهو مثل الثالث، لكن كفره كفر إعراض وليس عناد، كما قال الله تعالى عن مثل هؤلاء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: ٣-٤] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يَسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد.ا.هـ(٢).

o+o+o

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) طريق الهجرتين، ص(٤١٤).

فصل

بيان حكم مقلد الكفر

وأما المقلد للكافرين العامِّي الذي لا يفقه في الدين فلابد – هنا – من تفصيل يزول به الإشكال إن شاء الله تعالى:

المقلد للكافرين على قسمين – والقسمان واقعان في الوجود –:

الأول: مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق، فأعرض عنه؛ فهذا مفرط معرض تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله تبارك وتعالى.

الثاني: مقلد لم يتمكن من العلم ومعرفة الحق، وعاجز عن السؤال والعلم، **فهذا ينقسم إلى قسمين:**

الأول: مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم مرشد للخير، فهذا حكمه حكم **أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة**، ويقول: يا رب لو أعلم لك دين خير مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي.

«فإن قيل: فأنتم تحكمون لهم بأحكام الكفار في الدنيا من التوارث، والولاية، والمناكحة، قيل: إنما نحكم لهم بذلك في أحكام الدنيا لا في الثواب، والعقاب»[1].

الثاني: معرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، وراض بما هو عليه، لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه

---

(١) ما بين القوسين من كتاب: أحكام أهل الذمة (٢ / ١١٥٧).

وقدرته؛ فهذا لا يحق أن يلحق بالأول لما هو عليه من الإعراض والفرق الذي بينهما.

وكلاهما عاجز، فالأول: كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزًا وجهلًا.

والثاني: كمن لم يطلبه، بل مات في شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض.

فتأمل هذا الموضع، والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق[1].

o+o+o

(١) هذا الفصل مُستفاد من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «طريق الهجرتين»، ص(٤١٢-٤١٣).

فصل

مَن فَعَل الشرك فهو مشرك

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه: باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك[١].

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكل من غلا في حي؛ أو في رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي، أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى؛ مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي؛ أو أنا في حسبك؛ أو نحو هذه الأقوال والأفعال؛ التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل[٢].

وقال: والمرتد من أشرك بالله تعالى - إلى أن قال - أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم ومن شك في صفة من صفات الله تعالى ومثله لا يجهلها فمرتد[٣].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتأمل المسلم الذي قصدُه اتباع أمر الله ورسوله، ما ذكره هؤلاء العلماء، وحكوا عليه إجماع المذاهب كلها، في أناس يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، وأهل عبادة، لكنهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، الباب الثاني والعشرون.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٥) باختصار.

(٣) المرجع السابق (٥/ ٥٣٥) باختصار.

يعتقدون في بعض الأولياء، مثل عبد القادر، ومعروف الكرخي وغيرهما، ويتعلقون عليهم، يقولون: لهم جاه عند الله، كيف حكى العلماء إجماع المذاهب، على أن من فعل ذلك فهو كافر، ولو كان زاهدا. هذا الذي أنا طالب منهم، وأعظم من أن الرافضي إذا سب الشيخين، فقد توقف الإمام أحمد في تكفيره.

وأما إذا اعتقد في علي أو الحسين فهو كافر، مع كونه يشهد أن لا إله إلا الله. أتظنون أن هذا في قوم مضوا؟! أتقولون الصحابة أراهم يكفرون أهل الإسلام؟! أم تظنون أن الذين يعتقدون في علي لا يشهدون أن لا إله إلا الله؟! فرحم الله امرأً نصح نفسه، ونصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، والله أعلم[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتفكر – رحمك الله – فيما حدث في الناس اليوم، من دعاء غير الله في الشدة والرخاء؛ هذا يريد سفرا، فيأتي عند قبر أو غيره، فيدخل عليه بما له، عمن ينهبه، وهذا تلحقه الشدة، في البر، أو البحر، فيستغيث بعبد القادر، أو شمسان، أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو: المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقا، ميتا، عاجزا ؟! وتترك الحي، القيوم، الحاضر، الرؤوف، الرحيم، القدير؟! فقد يقول - هذا المشرك-: إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله، وتنفعني شفاعته وجاهه؛ ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك.

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الأصنام، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع، الضار، الذي

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ٨٩ – ٩٠).

يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله تعالى: إنما أرسل الرسل ليعبدوه وحده، لا يجعلوا معه إلهًا آخر[٢].

وتقدم معنا كلام الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور، والذبائح، فهذا مشرك، شاء أم أبى، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله فهو كافر. ا.هـ[٣].

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلو كان ذا علم كثير وجاهلا ... بمدلولها يوما فبالجهل مرتد[٤]

قال الشيخ العلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد بلغنا وسمعنا من فريقٍ يدعي العلم والدين ومِمَّن بزعمه مؤتم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب إن مَن أشرك بالله وعبد الأوثان لا يطلق عليه الكفر والشرك بعينه،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٠٤)، وقد سمى هذا الجاهل مشركا - فتأمل -.

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢١٣).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣١٣).

(٤) المرجع السابق (١/ ٥٨٢).

وذلك أن بعض من شافهني منهم بذلك سمع من بعض الإخوان أنه أطلق الشرك والكفر على رجل دعا النبي ﷺ واستغاث به، فقال له الرجل: لا تطلق عليه الكفر حتى تُعرفه؛ وكان هذا وأجناسه لا يعبأون بمخالطة المشركين في الأسفار وفي ديارهم، بل يطلبون العلم على مَن هو أكفر الناس من علماء المشركين.... –إلى أن قال–: ومن له أدنى معرفة إذا رأى حال الناس اليوم ونظر إلى اعتقاد المشايخ المذكورين تحير جدا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك أن بعض من أشرنا إليه باحثته عن هذه المسألة فقال: نقول لأهل هذه القباب الذين يعبدونها ومن فيها فعلك هذا شرك وليس هو بمشرك ؛

فانظر ترى العجب واحمد ربك واسأله العافية فإن هذا الجواب من بعض أجوبة العراقي[١] التي يرد عليها الشيخ عبد اللطيف[٢] .ا.هـ.[٣] .

وقال أيضًا: ونحن نقول الحمد لله وله الثناء ونسأله المعونة والسداد ولا نقول إلا كما قال مشايخنا: الشيخ محمد في إفادة المستفيد[٤] وحفيده في الرد على العراقي[٥]، وكذلك هو قول أئمة الدين قبلهم، ومما هو معلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن المرجع في مسائل أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة

---

(١) يقصد داود بن جرجيس الذي يدافع عن عبّاد القبور ويزعم أنهم من أهل السنة، وكذب في ذلك.

(٢) هو الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورد على المدعو آنفا في كتاب قيم سماه «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس». ط. دار الهداية بالرياض.

(٣) رسالة: حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، للعلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ،ص(٧-٨) ط.دار الهداية بالرياض.

(٤) كتاب «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) يقصد كتاب «منهاج التأسيس والتقديس»، وقد تقدم ذكره، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المعتبر وهو ما كان عليه الصحابة وليس المرجع إلى عالم بعينه في ذلك، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقريرا لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمته إذ لا معصوم إلا النبي ﷺ، ومسألتنا هذه وهي: عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه، وأن من عَبَدَ مع الله غيره فقد أشرك الشرك الأكبر الذي ينقل عن الملة هي أصل الأصول وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقامت على الناس الحجة بالرسول والقرآن، وهكذا تجد الجواب من أئمة الدين في ذلك الأصل عند تكفير من أشرك بالله فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل لا يذكرون التعريف[1] في مسائل الأصول إنما يذكرون التعريف في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسلمين كمسائل نازع بها بعض أهل البدع كالقدرية والمرجئة أو في مسائل خفية كالصرف والعطف، وكيف يُعرِّفون عُبّاد القبور وهم ليسوا بمسلمين ولا يدخلون في مسمى الإيمان؟!! وهل يبقى مع الشرك عمل ؟!! والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] إلى غير ذلك من الآيات؛ ولكن هذا المعتقد يلزم منه معتقد قبيح وهو أن الحجة لم تقم على هذه الأمة بالرسول والقرآن نعوذ بالله من سوء الفهم الذي أوجب لهم نسيان الكتاب والرسول، بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية لا يُسمون مسلمين بالإجماع ولا يُستغفر لهم، وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم في الآخرة، وهذه الشبهة التي ذكرنا قد وقع مثلها أو دونها لأناس في زمن الشيخ

---

(١) أي: التعريف بأنهم مسلمون.

محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكن مَن وقعت له يراها شبهة ويطلب كشفها، وأما مَن ذكرنا فإنهم يجعلونها أصلا ويحكمون على عامة المشركين بالتعريف - أي: بإسلامهم - ويُجهِّلُون مَن خالفهم، فلا يُوَفَّقُون للصواب لأن لهم في ذلك هوى وهو مخالطة المشركين[1] - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا - الله أكبر ما أكثر المنحرفين وهم لا يشعرون.ا.هـ[2].

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة الوسائط: فمن جعل الملائكة أو الأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين، إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، بمعنى: أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم، أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

فانظر قوله: فهو كافر بإجماع المسلمين، فجزم بكفر مَن هذه حاله، وأنه إجماع المسلمين، ولم يقل في هذا الموضع لم يمكن تكفير من فعل ذلك حتى يُبَيَّنَ له

---

(١) قلت: أو لعدم اعترافهم بما كان عليه آباؤهم من الكفر والشرك أو ما كانوا عليه هم أنفسهم.

(٢) رسالة: حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، للعلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٩-١١).

ما جاء به الرسول، وقوله: فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فجزم بكفره قبل الاستتابة.

وهذا الذي ذكر الشيخ أن من فعله كافر بإجماع المسلمين، هو الذي يفعل اليوم عند هذه المشاهد المشهورة في أكثر بلاد الإسلام، بل زادوا على ذلك أضعافه، وضموا إلى ذلك الذبح والنذر لهم، وبعضهم زاد السجود لهم في الأرض.

فنقول: كل من فعل اليوم ذلك عند هذه المشاهد،فهو مشرك كافر بلا شك، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع؛ ونحن نعلم أن من فعل ذلك ممن ينتسب إلى الإسلام، أنه لم يوقعهم في ذلك إلا الجهل، فلو علموا أن ذلك يُبْعِد عن الله غاية الإبعاد، وأنه من الشرك الذي حرمه الله، لم يقدموا عليه، فكفَّرهم جميع العلماء، ولم يعذروهم بالجهل، كما يقول بعضُ الضالين: إن هؤلاء معذورون لأنهم جهال.

وهذا قول على الله بغير علم، معارض بمثل قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٠] الآية، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ [الكهف: ١٠٣] الآيتين.ا.هـ[1].

قال الشيخ عبد الله، والشيخ إبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان –رحمهم الله جميعا–: وأما الجهمية وعباد القبور، فلا يُستدل بمثل هذه النصوص على عدم تكفيرهم، إلا مَن لم يعرف حقيقة الإسلام، وما بعث الله به الرسل الكرام، لأن حقيقة ما جاؤوا به –أي: الرسل– ودعوا إليه، وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له، وأن لا يُشرك في واجب حقه أحد من خلقه، وأن يوصف بما وصف به نفسه، من صفات الكمال ونعوت الجلال.

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ٤٠٤-٤٠٥).

فمن خالف ما جاؤوا به– أي: الرسل –، ونفاه وأبطله، فهو كافر ضال، وإن قال لا إله إلا الله، وزعم أنه مسلم، لأن ما قام به من الشرك، يناقض ما تكلم به من كلمة التوحيد؛ فلا ينفعه التلفظ بقول لا إله إلا الله، لأنه تكلم بما لم يعمل به، ولم يعتقد ما دل عليه(١) .

وفي هذه الأزمان، خصوصًا في جهتكم، قد قامت الحجة على مَن هناك، واتضحت لهم المحجة، ولم يزل في تلك البلاد من يدعو إلى توحيد الله، ويقرره، ويناضل عنه، ويقرر مذهب السلف، وما دلت عليه النصوص من الصفات العلية، والأسماء القدسية، ويرد ما يشبه به بعض أتباع الجهمية، ومن على طريقتهم، حتى صار الأمر في هذه المسائل؛ في تلك البلاد، أظهر منه في غيرها، ولا تخفى النصوص والأدلة، حتى على العوام؛ فلا إشكال - والحالة هذه - في قيام الحجة وبلوغها، على من في جهتكم من المبتدعة، والزنادقة الضلال.

ولا يجادل في هذه المسألة، ويشبه بها، إلا من غلب جانب الهوى، ومال إلى المطامع الدنيوية، واشترى بآيات الله ثمنا قليلا، والله أعلم(٢) .

o+o+o

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ٤٣٢).

(٢) المرجع السابق(١٠/ ٤٣٥).

فصل

الفرق بين قيام الحجة وفهمها

والحُجَّةُ: وجهُ الظَّفَر عند الخُصومة(١)، وقيل: البرهان؛ وقيل: ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي به الظفر عند الخصومة(٢).

والمقصود بالحجة -هنا-: هي رسالة النبي محمد ﷺ، وإنزال القرآن العظيم.

وقيام الحجة: أي انقطاع عذر الكفار والمشركين عند الله تبارك وتعالى، ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٠ -٥٢].

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ۝١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ [الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ

---

(١) كتاب العين للفراهيدي (٣/ ١٠).

(٢) قاله في لسان العرب (٢/ ٢٢٨).

ﵟٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُﵞ [إبراهيم: ٤]، وقال: ﵟلَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗﵞ [البينة: ١ – ٢]، وقال: ﵟوَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰﵞ [طه: ١٣٤]، وقال: ﵟرُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗاﵞ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﵟيَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞﵞ [المائدة: ١٩].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«والذي نفس محمد بيده، لا يَسمع بي أحد من هذه الأُمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»**[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضًا كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركُها. ا.هـ[(٢)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبعد: ما ذكرتم من قول الشيخ[(٣)]: كل من جحد كذا وكذا، وقامت عليه الحجة، وأنكم شاكُّون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم، هل قامت عليهم الحجة؟ فهذا من العجب، كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارا؟! فإن الذي لم تقم عليه الحجة، هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).
(٣) يعني: شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة؛ ولكن أصل الإشكال، أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين، لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤].

وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر؛ وكفرهم ببلوغها إياهم، وإن لم يفهموها... - إلى أن قال - فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا. إذا علمتم ذلك، فإن هذا الذي أنتم فيه كفر: الناس يعبدون الطواغيت، ويعادون دين الإسلام، فيزعمون أنه ليس ردة، لعلهم ما فهموا الحجة!!! كل هذا بيِّن.

وأظهر مما تقدم: الذين حرَّقهم عليٌّ، فإنه يشابه هذا. وأما إرسال كلام الشافعية وغيرهم، فلا يتصور يأتيكم أكثر مما أتاكم، فإن كان معكم بعض الإشكال، فارغبوا إلى الله تعالى أن يزيله عنكم، والسلام[1].

فتأمل كلام الشيخ ونسأل الله أن يرزقك الفهم الصحيح وأن يعافيك من التعصب، وتأمل كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كل من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة وإن لم يفهم ذلك وجعله هذا هو السبب في غلط مَن غلط، وأن جعل التعريف في المسائل الخفية ومن حكينا عنه في أصل الدين، وهل بعد القرآن والرسول تعريف ثم يقول هذا اعتقادنا نحن ومشايخنا - نعوذ بالله من الحور بعد الكور - وهذه المسألة كثيرة جدا في مصنفات الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن علماء زمانه من المشركين ينازعون في تكفير المعين[2].

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ٩٣-٩٥).

(٢) رسالة: حكم تكفير المعين، للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص(٢٠).

فصل

الحكم في تكفير المعين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: وكنت أُبيِّن لهم أنما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة «الوعيد» فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء:١٠] الآية وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا. فإن هذه مطلقة عامة. وهي بمنزلة قول من قال من السلف من قال كذا: فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه: بتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة.

والتكفير هو من الوعيد. فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة. ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئا، وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مِتُّ فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليمِّ فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين، ففعلوا به ذلك فقال الله له: ما حملك على ما فعلت. قال خشيتك: فغفر له»[1] فهذا رجل شك في قدرة الله وفي

(١)صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٤٥٢)، صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٥٦).

إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك. والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، **إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية** التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية.ا.هـ[2].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم؛ فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة.

فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه: أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يُعذَر به، فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢].

وإذا كان كلام الشيخ، ليس في الشرك والردة، بل في المسائل الجزئيات، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يذكرون في كتبهم في مسائل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٢٩).

الصفات، أو مسألة القرآن، أو مسألة الاستواء، أو غير ذلك، مذهب السلف، ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعري أو غيره، ويرجحونه، ويسبون من خالفه.

فلو قدَّرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم، قامت على هذا المعين الذي يحكي المذهبين، مذهب رسول الله ﷺ ومن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري ومن معه؛ فكلام الشيخ في هذا النوع، يقول: إن السلف كفروا النوع، **وأما المعين فإن عرف الحق وخالف، كفر بعينه، وإلا لم يكفر**.اهـ[1].

قال الشيخ عبد الله، والشيخ إبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله جميعا -: وأما قوله - عن الشيخ محمد[2]، رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: إنه لا يكفر من كان على قبة الكواز، ونحوه، ولا يكفر الوثني حتى يدعوه، وتبلغه الحجة، فيقال: نعم؛ فإن الشيخ محمدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يكفر الناس ابتداء، إلا بعد قيام الحجة والدعوة، لأنهم إذ ذاك في زمن فترة[3]، وعدم علم بآثار الرسالة، ولذلك قال: لجهلهم وعدم من ينبههم، **فأما إذا قامت الحجة، فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها**[4].

قال الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين- رحمه الله تعالى-: ولكن كما قال الشيخ[5]: لا يقال فلان كافر،حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ؛

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ٦٩-٧٠).

(٢) يعني: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -.

(٣) أي: حكمهم حكم أهل الفترة: وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام.

(٤) الدرر السنية(١٠/ ٤٣٤-٤٣٥).

(٥) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن أصر بعد البيان، حكم بكفره، وحل دمه وماله(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قول الشيخ – أي: محمد بن عبد الوهاب – في موضع من كلامه، لما ذكر الشرك، قال: ولكن لغلبة الجهل في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ، فالظاهر أن مراده المعين، لجزمه في غير موضع بكفر من فعل الشرك، ولم يتوقف في تكفيره حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله تعالى–: بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: عدم تكفير المعين ابتداء لسببٍ ذكرَه رحمه الله تعالى، أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه، قال رحمه الله تعالى: «ونحن نعلم بالضرورة أن النبي لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبين ما جاء به الرسول مما يخالفه». انتهى.

قلتُ: (الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن): فذكر رحمه الله تعالى ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم، على التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء من كفَّره، بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله تعالى– في

(١) المرجع السابق (٢/ ٣١٣).
(٢) الدرر السنية (١٠/ ٤٠٣).

ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: الله خير من زيد، تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظرا إلى المصلحة وعدم النفرة، والله سبحانه أعلم(١).

فتأمل هذا الموضع، والله يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به فى جملة الخلق.

وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا فى الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله عَزَّوَجَلَّ وحكمه هذا فى أحكام الثواب والعقاب. وأما فى أحكام الدنيا فهى جارية مع ظاهر الأمر(٢).

وبالجملة: فيجب على من نصح نفسه، ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله؛ وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه، أعظم أمور الدين؛ وقد كُفينا بيان هذه المسألة كغيرها، بل حكمها في الجملة أظهر أحكام الدين؛ فالواجب علينا: الاتباع وترك الابتداع، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»(٣).

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١٠-٢١١).

(٢) من كلام ابن القيم في «طريق الهجرتين» ص(٤١٣).

(٣) البدع لابن وضاح ص(٣٧)، السنة للمروزي ص(٩٢)، سنن الدارمي (٢١١)، الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٢٧) (١٧٤)، وغيرهم.

وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصّر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكَم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم.

فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين ومحنته من تينك البليتين!! ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين(١).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: ولا تصدق في أحد إلا بما سمعت(٢)، أو نقله مَن لا يكذب، وانصحه إذا بلغك عنه شيء قبل أن تُنكر عليه، خصوصا ممَّن تعرف منه حبًّا للدين، موافقا عليه، مجاهدا فيه. والله الهادي، والحمد لله رب العالمين.ا.هـ(٣).

०+०+०

---

(١)الدرر السنية (١٠/ ٣٧٤-٣٧٥)، من كلام الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، باختصار.

(٢) أي: إلا بما سمعت منه بنفسك.

(٣) الدرر السنية (١/ ١٤٦).

باب

الشرط الثاني

وهو: اليقين، وضده: الشك.

أما اليقين: فهو ما أذعنت النفس إلى التصديق به، وقطعت به، وقطعت بأن قطعها به صحيح(١).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقين، وهو: كمال العلم بها- أي: بلا إله إلا الله-، المنافي للشك والريب(٢).

والمعنى: أن يكون قائلها -أي: لا إله إلا الله- مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما لا يزول بالشك، فإن الإيمان لا يُغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟!!(٣).

ولهذا مدح الله تعالى المؤمنين الذين يوقنون، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]؛

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنما المؤمنون الكُمَّل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي: لم يشكوا في وحدانية الله وألوهيته وما أخبر عنه، ولا تزلزلوا في إثبات النبوة والرسالة للنبي ﷺ، بل ثبتوا على حالٍ واحدةٍ، وهي التصديق

---

(١) روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي -رحمه الله تعالى- (١/ ٨٣) مع شرحها (نزهة الخاطر العاطر).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢٤٦).

(٣) معارج القبول (٢/ ٥١٩) بتصرف.

المحض، والعلم الجازم ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه،فصدَّق عملُهم يقينَهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: في قولهم إذا قالوا: «إنهم مؤمنون».ا.هـ[١].

وقد قال العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقين: هو العلم التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل[٢].

وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – أيضًا– أن النبي ﷺ قال له: «**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة**»[٣].

وله عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – أيضا – قال: قال النبي ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة**»[٤]. وفي رواية: «**فَيُحْجَب عن الجنة**»[٥].

ومر معنا حديث (سيد الاستغفار) «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت...**» الحديث، وقد قال النبي ﷺ في آخره: «**ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة**»[٦].

واعلم – حفظك الله – أن اليقين المطلوب ليس فقط اليقين بألوهية الله – فإن كثيرًا من الناس من يتيقن من ذلك منهم طوائف من اليهود والنصارى ومع

---

(١)تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٠) بتصرف.
(٢)تفسير السعدي ص(٦٠٠).
(٣)صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣١).
(٤)صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٧).
(٥)صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٧) مكرر.
(٦)صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٣٠٦).

ذلك هم كفار – بل أيضا اليقين بكل ما أخبر اللهُ تعالى به ورسولُه ﷺ من أسماء الله تعالى وصفاته، ومن الغيبيات – كعذاب القبر ونعيمه وباليوم الآخر وما سيحدث فيه، وبالجنة ونعيمها وبالنار وعذابها... وغير ذلك من الغيبيات – فكل هذا مُؤمَرُون بالجزم به واليقين قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:٤-٥]؛

وفي هذا قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفينـــا رســـول الله يتلـــو كتابـــه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهـدى بعـد العمـى فـقلوبنا ... بـه موقنـات أن مـا قـال واقـع[1]

وأما الكفار والمشركين ومن شابههم فهم في شك دائم لاينقطع وقد فضحهم الله تبارك وتعالى في مواطن كثيرة في كتابه العزيز فقال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ [الدخان: ٩]، وقال: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل: ٦٦]، وقال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ [ص: ٨].

واعلم – وفقنا الله وإياك – أن العبادة مبنية على اليقين إذ لا يصلح التعبد لله تعالى مع الشك فيه، قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربه ولا تصح العبادة إلا به وإن كان له درجات متفاوتة.ا.هـ[2].

٥+٥+٥

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد (١١٥٥).
(٢) الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤١٨).

فصل

أمور تساعد على زيادة اليقين

وهناك أمور تساعد على اليقين وزيادته، **منها**:

○ **الآيات الكونية**: قال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:١-٦].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنه لا إله غيره[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هؤلاء يستدلون بالآيات ويتفكرون بها وينتفعون فيرتفعون وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيمانا تاما وصل بهم إلى درجة اليقين، فزكّى منهم العقول وازدادت به معارفهم وألبابهم وعلومهم[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم[٣].

وأما الكفار والمشركين ومَن مثلهم لا ينتفعون بها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٤١).

(٢) تفسير السعدي ص(٧٧٥)، بتصرف.

(٣) أضواء البيان، للعلامة الشنقيطي (٧/ ١٧٩).

[يونس: ٩٦-٩٧]، وقال: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام:٢٥]، وقال: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]...وغيرها كثير؛ والآيات هنا تشمل الكونية والشرعية.

○ ومنها الآيات الشرعية «القرآن الكريم»: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢-٤]، وقال: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]، وقال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]... وغيرها من الآيات.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وخبرُ الله الخبر الذي لا يُعذر سامعه بالشك فيه، وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب، وذلك منفي عن خبر الله عَزَّوَجَلَّ.ا.هـ[1].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢/ ٥٥٧).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى** درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا[١].

فكل مؤمن قد عرف من آيات الله الباهرة وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين واندفع عنه كل شك وريب[٢].

○ **ومنها الآيات العيانية المشاهَدة:** قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٢-١١٣]؛

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران:٤١].

---

(١) تفسير السعدي، ص(١٨٩).

(٢) المرجع السابق، ص(٦٤).

وما نراه من الآيات العيانية من عالمنا كشجر على هيئة ساجد أو راكع، أو سُحُب تُكوِّن اسم (الله)، أو تسمع بعض الحيوانات والطيور وهي تنطق اسم (الله)... وغير ذلك من الآيات المشاهَدة.

○ **ومنها الغيبيات التي أخبر عنها الشارع وتحققت**، مثل حال الأمة في هذا الزمن وما أخبر به النبي ﷺ عنها، كما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلَصَةِ**». وذو الخَلَصَةِ طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[1].

وكحديث عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تُعبد اللَّاتُ والعزَّى**»[2].

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[3].

وحديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**». قال: قلنا:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧١١٦)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء (٣٤٥٦)، صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٦٩)

وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكراهية الموت»[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»[(٢)].

---

(١) حسن: رواه أبو داود، كتاب الملاحم (٤٢٩٧) من طريق أبي عبد السلام الدمشقي عن ثوبان به، وأبو عبد السلام هو صالح بن رستم الدمشقي، مجهول، لكن تابعه عن ثوبان أبو أسماء الرحبي، فروى الحديث عنه الإمام أحمد في مسنده، برقم (٢٢٣٩٧)من طريق مرزوق أبي عبد الله الحمصي نا أبو أسماء الرحبي عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، ومرزوق أبو عبد الله الحمصي قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وأبو أسماء الرحبي ثقة روى له مسلم والأربعة، وعلى هذا يكون الحديث حسنا. والله أعلم

(٢) صحيح: رواه أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في المسند، برقم (٢٢٣٩٥)، وغيرهما، وبعضه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتَل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِل»(٢).

○ ومنها الحجج القاطعة والبراهين النافعة: قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٣-٣٦].

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾» قال: كاد قلبي أن يطير(٣).

وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركا، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك(٤).

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع (٢٠٨٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٨٥٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٧).

وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

o+o+o

فصل

الثبات على الحق دليل على اليقين

واعلم – حفظك الله – أن اليقين درع حصين أمام أي شبهة، وإن لم يستطع العبد رد الشبهة فمَعَه ما يحميه من الشبهة – بفضل الله تعالى – وهو اليقين.

واعلم – وفقنا الله وإياك – أن الذي لا يوقن لا يثبت، لأنه صفر اليقين أو قليل، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقد حذّر الله من هذا ومثله، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الخفيف لا يثبت بل يطيش، وصاحب اليقين ثابت. يقال: أيقن. إذا كان مستقرا، واليقين: استقرار الإيمان في القلب علما وعملا، فقد يكون علم العبد جيدا، لكن نفسه لا تصبر على المصائب بل تطيش. قال الحسن البصري: إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرة له رأيته فإذا رأيت بصيرا صابرا فذاك، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].ا.هـ[١].

ووصف الله تعالى فرعون وقومه بهذا وذمّهم، فقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]. وقال: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٧].

o+o+o

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧).

فصل

اليقين وحده لا ينفع

قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

وقد كان بنوا إسرائيل على يقين برسالة النبي ﷺ ونبوته ومع ذلك لم يؤمنوا بل جحدوا واستكبروا في الأرض بغير الحق، وقد قال الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢٠-٢١].

وروي عن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مُغَلِّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّيْنِ كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي، حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله: قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال:

عداوته والله ما بقيت[١].

وروي عن صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات. فقال لهم: «**لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت**»، قال: فقبلوا يديه ورجليه. فقالا: نشهد أنك نبي. قال: «**فما يمنعكم أن تتبعوني**»؟ قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود[٢].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «**أي رجل فيكم عبد الله بن سلام**» قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم عبد الله**» قالوا: أعاذه

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١١٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٣٣)، السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٩٨)، وبَيْن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وبين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مجهول.

(٢) سنن الترمذي، الاستئذان والآداب (٢٧٣٣)، سنن النسائي، كتاب تحريم الدم (٤٠٧٨)، وغيرهما من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال به، وعبد الله بن سلمة متكلم فيه، قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال أبو حاتم: تعرف وتنكر. وقال شعبة عن عمرو بن مرة: كان يحدثنا فنعرف وننكر، كان قد كبر. وقال ابن عدي: أرجو لا بأس به. ولهذا قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق تغير حفظه.ا.هـ ومثله يصلح في المتابعات، ولا متابع له، وعلى هذا فالحديث: ضعيف الإسناد. والله أعلم.

الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه(١).

وكذلك ما كان من النصارى وعظيمهم هرقل، فقد روى الشيخان عن أبي سفيان بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هرقل قال له: فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه(٢).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل(٣).

وكان أبو جهل يعلم ويتيقن من نبوة ورسالة النبي ﷺ ومع ذلك لم تنفعه، فقد روى محمد بن إسحاق في سيرته عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ إني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك إلى الله، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٣٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٧)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٧٣).

(٣) هذه الزيادة انفرد بها البخاري عن مسلم.

بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقا ما تبعتك، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم؛ قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا السقاية: قلنا: نعم؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي فلا والله لا أفعل[1].

وسبق معنا حديث أبي طالب عم النبي ﷺ وما كان موقفه من الرسالة وما معه من العلم واليقين ومع ذلك لم ينتفع بهما في شيء.

o+o+o

(١) كتاب السيرة لابن إسحاق ص(٢١٠)، والمصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٢٥٥)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٧) كلهم عن زيد بن أسلم عن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يسمع زيد من المغيرة، وروى ابن إسحاق عن الزهري مرسلا قصة قريبة منها، والله أعلم.

فصل

وضد اليقين الشك

والشك: هو تجويز أمرين، لا مزية لأحدهما على الآخر(١).

والشك من صفات الكافرين والمشركين والمنافقين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [الشورى: ١٤]، وكثيرا ما كانوا يقولون لرسلهم أنهم في شك مما أرسلوا به، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩].

ولما كان الشك من صفات هؤلاء أراد الشيطان - وما زال - أن يكون للعبد نصيب منه، ولهذا حذّر النبي ﷺ من هذا أشد التحذير، فقال: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول: الله، فمن خلق الله؟** - وفي رواية: حتى يقول له: **من خلق ربّك؟**-»(٢) فانظر كيف يريد الشيطان أن يوقع العبد في الشك؟ لهذا أوجد النبي ﷺ العلاج من هذا في نفس الحديث، فقال ﷺ: «**فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته**»، وفي رواية: «**فمن وجد من ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله**»، وفي أخرى «**ورسله**»(٣).

---

(١) العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى الحنبلي (١/ ٨٣)، والورقات، للجويني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٧٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٣٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٣٤) مكرر، وانظر ما بعده.

فمَن وجد ذلك فليفعل كما أمر النبي ﷺ:

١- يستعذ بالله.

٢- يقول آمنت بالله ورسله.

٣- يَكُف عن الخوض في هذه المسألة ومثلها.

ومن جرَّه الشيطان للشك ولما يريد - والعياذ بالله - فهذا الذي صدق فيه قول ربنا: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢٠-٢١]، فيارب ثبِّتنا على الحق واحفظنا من الفتن ومضلاتها.

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٦].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ وهي بستانه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكُّه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه، وقوله: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكَّ في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا، ولا تفنى ولا تَخْرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ يقول: لأجدنّ خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردًا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده

أفضل منها في المعاد إن رددت إليه[١].

لأني مُحظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:٥٠]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألى على الله، عَزَّوَجَلَّ[٢].

فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم حظا من العقل، فأي: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب[٣].

٥٠٥٠٥

(١) تفسير ابن جرير الطبري(١٨/ ٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٨).

(٣) تفسير السعدي، ص(٤٧٧).

فصل

دحض شُبَهٍ تتعلق بالشك

الشبهة الأولى: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شكَّ في قدرة الله تعالى ولذلك طلب منه أن يريه كيف يحيي الموتى كما في الآية ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] ولحديث «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]»[١].

والجواب عليها: أولًا: نحن نُسلِّم بأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليلُ الرحمن وهو من أولي العزم من الرسل وهو أبو الأنبياء، ونعلم تمام العلم ونتيقن أن الشك بعيد كل البعد عن أي نبي ورسول فضلا عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا: ليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده، بلا خلاف -عندنا-. وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة[٢]:

قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى[٣]، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه[٤].

---

(١) صحيح البخاري،كتاب التفسير (٣٣٧٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٩).

(٣) تفسير ابن جزي الموسوم بـ«التسهيل لعلوم التنزيل»(١/ ١٢٣).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٣٢٣).

وأما الحديث: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»: فليس في قوله ﷺ- هذا - اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ﷺ ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قِبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال[1]، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم[2]، وكما قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»[3].

وإذا تأمّلتَ في جواب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربنا عند قوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ وجدتَ أنه أثبت لنفسه الإيمان، والإيمان مناف للشك، كيف لا وقد قال للنمرود ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؟ ثم إنه يسأل ربّنا عن الكيفية، ألم تر أنه قال ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فأراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين.

«والاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فإنما السؤال عن حال من أحواله، وقد تكون كَيْفَ خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه، كَيْفَ نحو قولك: كيف شئت فكن،

---

(١) من كلام أبي سليمان الخطابي، نقلا عن البغوي في تفسيره (١/ ٣٢٣) باختصار.

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٣٥٢).

(٣) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (١٨٤٢) و(٢٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥١)، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.ا.هـ.

ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي، وكَيْفَ في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر»[١]. فالشك يبعد على من ثبتت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوءة والخُلة، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا[٢].

الشبهة الثانية: أنَّ النَّبي محمدًا عليه الصلاة والسلام قد شكَّ ولذلك قال الله له: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

والجواب عليها: أولا: إن ما عندنا من يقين ثابت في وحدانية الله تبارك وتعالى وفي كلامه العظيم وحُكمه القويم ورسوله المجتبى الأمين يجعلنا لا نرتاب لحظة في يقين رسولنا ﷺ فيما أُنزل إليه من ربنا تبارك وتعالى، وإذا كنا كذلك بما عندنا من اليقين فكيف بنبينا محمد ﷺ الذي أمرنا ربُّنا أن نتأسى به ونقتدي؟!! ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، فسبحان الله ما أكثر الجهل في زماننا..

ثانيًا: وأما من الجهة العلمية فيرد على هذا الافتراء من وجوه:

١- لم يكن ﷺ شاكًا في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالمًا - قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٤] - ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضًا، إذْ كان القرآن بلسانهم نزل[٣].

---

(١) تفسير ابن عطية(١/ ٣٥٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٥٣).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٠٣)، بتصرف.

والمعنى: لو كنت ممن يلحقه الشك فيما أخبرناك به فسَأَلْتَ أهلَ الكتاب لأزالوا عنك الشك[١]، وهذا على وجه الفرض والتقدير[٢].

٢- سبق معنا أن خطاب الله لنبيه ﷺ على أنواع، منها خطاب الله تعالى لنبيه والمراد به غيره، ومن هذا النوع هذه الآية، ويكون الخطاب لهذين أو لأحدهما:

الأول: من كان من الكفار غير قاطع بتكذيب النبي ﷺ ولا بتصديقه، بل كان في شك[٣].

الثاني: هذا الخطاب مع أهل الشك - ممن ينتسب للإسلام - معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك[٤].

٣- قيل أن: ﴿فَإِنْ﴾: نافية بمعنى (ما) وروي ذلك عن الحسن[٥]، فالمعنى: ما كنت في شكّ فَسْئَلِ، المعنى: لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاكّ، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره الزجاج[٦].

والجمهور على أن «إن» شرطية[٧]، فيكفي بما رددنا عليه قبل هذه النقطة؛ ويقال - أيضا -: لا يفهم من هذه الآية ثبوت شك له ﷺ، فإن صدق الشرطية

---

(١) فتح القدير (٢/ ٥٣٨).

(٢) نقله ابن الجزي عن بعضهم في تفسيره (١/ ٣٦٣).

(٣) نقله الشوكاني عن القتبي، فتح القدير (٢/ ٥٣٨).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ١٥٠).

(٥) قاله ابن عطية في تفسيره (٣/ ١٤٢).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٣٥٠).

(٧) تفسير ابن عطية (٣/ ١٤٢).

لا يقتضي وقوعها. كقولك.«إن كانت الخمسة زوجا، كانت منقسمة بمتساويين» والسر في مثلها تكثير الدلائل وتقويتها، لتزداد قوة اليقين، وطمأنينة القلب، وسكون الصدر(١).

فائدة: ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول ﷺ، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول ﷺ بُعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب(٢).

وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. ثم مع هذا العلم يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم، يُلبسون ذلك ويُحرفونه ويُبدِّلُونه، ولا يُؤمنون به مع قيام الحجة عليهم(٣).

ولم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيِّنة الظاهرة(٤).

---

(١) محاسن التأويل (٦/ ٦٢).

(٢) تفسير السعدي ص(٣٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٦).

(٤) تفسير السعدي ص(٣٧٣) بتصرف.

فصل

ومِمَّا يُضاد اليقين: الظنُّ السيء

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرَّأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قدَّر ما قدَّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن

حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فوتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له فما قدَّرها سُدى، ولا أنشأها عبثا، ولا خلقها باطلا، ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء..... - إلى أن قال - فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليَتُب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت مِن ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.ا.هـ.[1].

- وقال الله تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾ [الفتح:١٢-١٣]،

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا ﴾ أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص، بل تخلف نفاق، ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا ﴾ أي: اعتقدتم أنهم يُقتلون

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٠٥-٢١١).

وتُستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مخبر [(١)].

وقيل: إن تخلفكم ليس لما زعمتم، بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملونه من الأعمال التي من جملتها تخلفكم، وقد علم أن تخلفكم لم يكن لذلك، بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله [(٢)].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسبب ذلك الظن أمران:

أحدهما: أنهم كانوا ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى، لا خير فيهم، والثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، ﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [(٣)].

- وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون لا هَمَّ لهم غير أنفسهم، فهُم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله، وتكذيبا لنبيه ﷺ وَمَحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به [(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٧).

(٢) فتح القدير (٥/ ٥٧).

(٣) تفسير السعدي ص(٧٩٢).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٣٢٠).

قال ابن كثير – رحمه الله رحمة واسعة –: وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد وأهله، هذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة[١].

– قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢].

– وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي»[٢].

– واعلم أن الظن قد يأتي بمعان أخرى مثل اليقين والشك والحسبان وغيرها، وكلٌ بحسب، والله أعلم[٣].

o+o+o

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٠٥)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥).

(٣) انظر: الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص(٤٢٥).

باب
الشرط الثالث

وهو القبول: وضده الرد.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص:٤-٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٤-٣٧]، وقال: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]. وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [المعارج:١٥-١٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا بد له من القبول لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيرا ممن يقولها ويعرف معناها، لا يقبلها، كحال مشركي قريش، والعرب، وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم، وأموالهم، حلالا لأهل التوحيد.ا.هـ[1].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء،**

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٥٣).

فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال شيخنا[٢]: الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام:

القسم الأول: قبلوه ظاهرا وباطنا، وهم نوعان:

أحدهما: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء كمثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم.

النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلَّغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (٧٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٢).

(٢) يقصد: شيخ الإسلام أبا العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى عام (٧٢٨).

القسم الثاني: من رده ظاهرًا وباطنًا وكفر به ولم يرفع به رأسا وهؤلاء أيضا نوعان:

أحدهما: عرفه وتيقن صحته وأنه حق، ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين.

النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقا لكانوا هم أهله وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم.

القسم الثالث: الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهرا وجحدوه وكفروا به باطنا وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثلان بمستوقد النار وبالصيب وهم أيضا نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رءوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد نارا ثم حصل بعدها على الظلمة.

النوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم آذانهم صوت الرعد فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان؛ بل يهربون منه ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنيه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من نصوص الوحي إذا وردت عليه مخالفة لما تلقَّاه عن أسلافه وذوي مذهبه، ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة

لما عنده عنهم هرب من النصوص وكره من يُسمِعه إياها، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها ويقول: دعنا من هذه ولو قَدِر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلِّمها، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائرا لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها، ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف، فيالله العجب! أوليس أهلُها والذابون عنها والمنتصرون لها والمعظمون لها والمخالفون لأجلها آراء الرجال، المقدمون لها على ما خالفها، أعرف بها أيضا منك وممن اتبعته فلِم كان من خالفها وعزلها عن اليقين وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها وأنها أدلة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد والصفات ويسميها الظواهر النقلية، ويسمي ما خالفها القواطع العقلية، فلِم كان هؤلاء أحق بها وأهلها وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها؟!

ولكن هذه سُنَّة الله في أهل الباطل أنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربته، والمقصود أن هؤلاء المنافقين صنفان: أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق. وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلِّدون.

القسم الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ ...﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره.

فالأقسام الثلاثة الأول ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود.ا.هـ(١).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أيضًا –، عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين، واليهود، والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل، على أجر معلوم، فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملا، فأبوا، وتركوا، واستأجر أجيرين بعدهم، فقال لهما: أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهما: أكملا بقية عملكما ما بقي من النهار شيء يسير، فأبيا، واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قبلوا من هذا النور»(٢).

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ ص(٢٦-٣١)، باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة (٢٢٧١).

فصل

الرضا من القبول

عرَّف بعضُهم القَبول فقال: هو بفتح القاف: الرضا بالشيء وميل النفس إليه(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

ومن هذا ما رواه العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عم النبي ﷺ - أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»(٢).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والرضا بربوبية الله تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد واختياره له. والرضا بالإسلام دينا يتضمن اختياره على سائر الأديان. والرضا بمحمد رسولا يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وجبت له الجنة»، فعجب لها

---

(١) النهاية لابن الأثير (٤/ ٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٤).

(٣) جامع العلوم والحكم، صـ١١٨.

أبو سعيد، فقال: أَعِدْها عَلَـيَّ يا رسول الله، ففعل...الحديث[١].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا، غُفِر له ذنبُه**»[٢].

٥٠٥٠٥

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٨٨٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٣٨٦).

فصل

لا يدل القبول وحده على الإسلام

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] الآية، وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:١-٣].

فهؤلاء المنافقون رضوا بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وبالإسلام دينا، في الظاهر، وأما في الباطن فهم من أعدى أعداء الدين، ولا يحبون أن تقوم له راية، وقد ظنوا بذلك أنهم يُخادعون الله تعالى ونسوا أن الله يعلم ما تُكِنُّ صدورُهم وما يُعلنون، لذلك قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩]، فتوعدهم بأشد الوعيد، لم يتوعد غيرهم مثله، قال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]، حتى إن منازل الكافرين والمشركين في جهنم أعلى من منازل هؤلاء، مع قبولهم ورضاهم – ظاهرا – بالإسلام.. فيا عجبا لهؤلاء.. يارب ثبتنا على الإيمان واصرفنا عن خطوات الشيطان.

o+o+o

باب
الشرط الرابع

وهو: الانقياد، وضده: الإباء والاستكبار.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].. وغيرها.

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه[١].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا**

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٥٨-٥٩) رقم (٩٧).

النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله، قال: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بين الناس»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٤٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة النبي ﷺ وتصديقه في شيء من أموره الباطنة والظاهرة فإنه يجب استتابته فإن تاب وإلا قتل كائنا من كان[١].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: معرفة دين الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[٢].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس الإسلام بمجرد الدعوى والتلفظ بالقول، وإنما معناه: الانقياد لله بالتوحيد والخضوع، والإذعان له بالربوبية والإلهية، دون كل ما سواه[٣].

٥+٥+٥

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢١٥).

(٢) رسالة ثلاثة الأصول، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٣٧) باختصار.

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٦٤).

فصل

من فضل الانقياد

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «**قال: نعم**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ «**قال: نعم**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ «**قال: نعم**» ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] «**قال: نعم**»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢٥).

وفي رواية عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا**» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «**قال: قد فعلت**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، «**قال: قد فعلت**» ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، «**قال: قد فعلت**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فهذا إقرار منهم بركني الإيمان الذي لا يقوم إلا بهما وهما: السمع المتضمن للقبول، لا مجرد سمع الإدراك المشترك بين المؤمنين والكفار، بل سمع الفهم والقبول. والثاني: الطاعة المتضمنة لكمال الانقياد وامتثال الأمر وهذا عكس قول الأمة الغضبية سمعنا وعصينا. فتضمنت هذه الكلمات كمال إيمانهم وكمال قبولهم وكمال انقيادهم ثم قالوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد الذي يقتضيه منهم وأنهم لا بد أن تميل بهم غلبات الطباع ودواعي البشرية إلى بعض التقصير في واجبات الإيمان وأنه لا يلم شعث ذلك إلا مغفرة الله تعالى لهم سألوه غفرانه الذي هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من الله تعالى فقالوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ ثم اعترفوا أن مصيرهم ومردهم إلى مولاهم الحق لا بد لهم من الرجوع إليه فقالوا: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾. فتضمنت هذه الكلمات إيمانهم به ودخولهم تحت طاعته وعبوديته واعترافهم بربوبيته واضطرارهم إلى مغفرته واعترافهم بالتقصير في حقه وإقرارهم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢٦).

برجوعهم إليه. ثم قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فنفى بذلك ما توهموه من أنه يعذبهم بالخطرات التي لا يملكون دفعها وأنها داخلة تحت تكليفه فأخبرهم أنه لا يكلفهم إلا وسعهم فهذا هو البيان الذي قال فيه ابن عباس وغيره فنسخها الله عنهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمرا ونهيا فهم مطيقون له قادرون عليه وأنه لم يكلفهم ما لا يطيقون وفي ذلك رد صريح على من زعم خلاف ذلك. والله تعالى أمرهم بعبادته وضمن أرزاقهم فكلفهم من الأعمال ما يسعونه وأعطاهم من الرزق ما يسعهم فتكليفهم يسعونه وأرزاقهم تسعهم فهم في الوسع في رزقه وأمره: وسعوا أمره ووسعهم رزقه ففرق بين ما يسع العبد وما يسعه العبد وهذا هو اللائق برحمته وبره وإحسانه وحكمته وغناه؛ لا قول من يقول إنه كلفهم ما لا قدرة لهم عليه ألبتة ولا يطيقونه ثم يعذبهم على ما لا يعملونه. وتأمل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كيف تجد تحته أنهم في سعة ومنحة من تكاليفه، لا في ضيق وحرج ومشقة، فإن الوسع يقتضي ذلك فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج، بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدورا له ولكن فيه ضيق وحرج عليه وأما وسعه الذي هو منه في سعة فهو دون مدى الطاقة والمجهود؛ بل لنفسه فيه مجال ومتسع وذلك مناف للضيق والحرج.ا.هـ[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٦-١٣٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى مخبرا عمَّن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾. ا.هـ[1].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد:٣٢-٣٣].

o+o+o

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٧).

فصل

صور من انقياد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعروة بن مسعود: امصص ببظر اللات، أنحن نَفِر عنه – أي: عن النبي ﷺ وندعه؟!![١].

وقال لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق[٢].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لشيبة بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قال شيبة: ما أنت بفاعل، قال: لم؟، قال: لم يفعله صاحباك – أي: النبي ﷺ وأبو بكر–، قال عمر: هما المرءان يُقتدى بهما[٣].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتما من ذهب» فنبذه، وقال: «إني لن ألبسه أبدا»، فنبذ الناس خواتيمهم[٤]. - وفي رواية عند البخاري - ثم اتخذ خاتما من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة[٥].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الشروط(٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٢) الحديث السابق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩٨)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢٠٩١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٨٦٦).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ وَقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بُدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم – إلى أن قال – فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قُرِرتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يا نومان»[1].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ[2].

وعن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه رأى رجلا يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف وقال: «إنه لا يصاد به صيد ولا ينكى به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين» ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف،

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢٠٩٠).

وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا[١].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»[٢]، قال سالم بن عبد الله: فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله: فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط وقال: «أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن»[٣].

o+o+o

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد (٥٣٧٩)، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح (١٩٥٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٧٣)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٤٢) وهذا لفظه.

(٣) هذه الزيادة تفرد بها مسلم.

فصل

انقياد الجماد للنبي ﷺ، فما بال الإنسان!

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالـمَنْصَفِ مما بينهما، لَأَم بينهما - يعني جمعهما - فقال: «التئما علي بإذن الله» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق[١].

وعنه رضي الله عنه: أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه، فإن لي غلاما نجارا قال: «إن شئت»، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها، فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت، حتى استقرت، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر»[٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٣٠١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع (٢٠٩٥).

فصل

وضد الانقياد: الإباء والاستكبار

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [الأعراف: ٧٦-٧٧]، وقال: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧]، وغيرها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»**، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).

والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره.ا.هـ[١].

○✦○✦○

(١) التدمرية ص(١٦٩).

باب

الشرط الخامس

وهو: الصدق، وضده الكذب.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

والصدق: هو مطابقة الكلام بحسب اعتقاد المتكلم(١).

والمقصود به هنا: أن يقول العبد لا إله إلا الله يواطئ قلبُه لسانَه، بخلاف المنافق الذي يقولها بلسانه من غير اعتقاد القلب، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، ثم يُصدِّق عملُه كلَّ هذا ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥].

---

(١) المعجم الوسيط ص(٥١١).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صِدقًا من قلبه، إلا حرَّمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا، وليلتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: «صدق»، قال: ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (١٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٢)، وهذا لفظ البخاري.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢).

وعن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئا، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق»[1].

والصدق من صفات المؤمنين، فيُصدِّقون ما في قلوبهم بأقوالهم وأعمالهم؛ أما المنافقون فيُظهرون الإيمان والصدق ويُبطنون الكفر والتكذيب، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٣-٢٤]، وقد توعَّد اللهُ تعالى المنافقين بأشد وعيد وجعلهم تحت الكافرين في جهنم، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

o+o+o

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم (١٨٩١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١).

فصل

أهل الصدق هم الصديقون

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال ابن قتيبة: الصِّدِّيق: الكثير الصدق[١]، وقال البغوي: المبالغ في الصدق[٢].

واعلم – رحمك الله – أن الصديقين أرفع الناس درجة بعد الأنبياء[٣].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصديقون هم الذين كَمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل فعلموا الحق وصدَّقوه بيقينهم، وبالقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة إلى الله.ا.هـ[٥]. نسأل الله أن نكون منهم..آمين.

---

(١) نقلا عن ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٢٤٧).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٩٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق(٣٢٥٦)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٣١).

(٥) تفسير السعدي ص(١٨٥).

قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: بليغة الصدق في نفسها[١]، فهي كثيرة الصدق[٢]، وقد آمنت بابنها المسيح وصَدَّقت به[٣]، وبكلمات الله وكتبه، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢].

٥٠٥٠٥

---

(١) تفسير ابن جزي (١/ ٢٤٠).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٨٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٨).

فصل

بالصدق تنال الخير وإن لم تدركه

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقا، أُعطيها، ولو لم تُصبه»[١].

عن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غَنِمَ النبي ﷺ سبيا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟، قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق اللهَ فصدقه»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٠٨).

ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك»[١].

عن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[٢].

○+○+○

(١) صحيح: سنن النسائي (٤/ ٦٠)رقم (١٩٥٣)، المستدرك للحاكم (٦٥٢٧)، المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٤٥)، شرح معاني الآثار للطحاوي (١/ ٥٠٥)، المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٢٧١)، السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٠٩).

فصل

تمييز الصادق من الكاذب

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت:١٠-١١]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦-٣٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله سبحانه من حكمته ولطفه ورحمته، لم يترك مدعي الإسلام والإيمان بلا محنة يختبر بها الصدق من الكذب، ويميز بها بين المرتاب والمستيقن، وله في ذلك حكمة بالغة، ومشيئة نافذة، وحجة دامغة؛ وقد تعددت سنته سبحانه وأيامه في خلقه بذلك، قرنًا فقرنًا، وجيلًا فجيلًا، حتى ميَّز الله بين الصادق في إسلامه وإيمانه، وبين المرتاب في ذلك وضعيف اليقين أو الكاذب أصلًا. ا.هـ[1].

---

(١) الدرر السنية (٨/ ٢٧٧) باختصار.

فصل

وضد الصدق: الكذب

ويعمل به الكافرون والمنافقون؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٣٢]، وقال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه:٤٨]، وقال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨]، وقال: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل:١٤-١٦].

o+o+o

باب

الشرط السادس

وهو: الإخلاص، وضده الشرك.

والإخلاص: هو تجريد القصد طاعة للمعبود(١)، وقيل: تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك(٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣]، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر:١١-١٤]، وقال: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩]، وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤]، وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، وقال: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٣).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٢/ ١٢٥).

(٢) معارج القبول (٢/ ٥٢٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٢٥)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: فبيَّن ﷺ أنَّ أحق الناس بشفاعته يوم القيامة من كان أعظم توحيدًا وإخلاصًا، لأن التوحيد جماع الدين والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فهو سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا شفع محمد ﷺ حدَّ له ربه حدًا فيدخلهم الجنة، وذلك بحسب مايقوم بقلوبهم من التوحيد والإيمان.ا.هـ(٢).

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ما اعتقد المشركون، أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه(٣).

واعلم – حفظك الله – أن الإخلاص أحد شرطي قبول العمل، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]؛

قال إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض: «سمعت الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال:

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (٩٩).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ص(٩٦).

(٣) الدرر السنية (١/ ١٩٦-١٩٧) من كلام أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر رحمهم الله جميعًا.

أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة»(١).

وعلى هذا يكون شرطان قبول العمل: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للنبي ﷺ.

o+o+o

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٩٥).

فصل

وضد الإخلاص: الشرك

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»[1].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشرك أظلم الظلم، لأن المشرك وضع العبادة في غير موضعها.ا.هـ[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٤٧٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ٣٠٥).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة ؛ وأعظم ما نهى عنه الشرك: وهو دعوة غيره معه[(١)].

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله».. الحديث**[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»**[(٣)].

وعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يُسمِّع يُسمِّع الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»**[(٤)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»**[(٥)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: المسلم: من وحَّد اللهَ بأفعاله سبحانه وأفعاله بنفسه؛ والمشرك: الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه، ويشرك بأفعاله بنفسه.ا.هـ[(٦)].

---

(١) رسالة ثلاثة الأصول، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات (٢٦٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق (٦٤٩٩)، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٧).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٩٩).

(٦) الدرر السنية (١/ ٦٢).

والشرك نوعان:

١-أكبر. ٢-وأصغر.

أما الأكبر، فهو صرف العبادة لغير الله، وهذا الذي لا يغفره الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن مات على الشرك فهو خالد مُخلد في النار، وهذا النوع من الشرك وسائله كثيرة وأنواعه متعددة وسبله متنوعة، مثل السجود لغير الله وطلب قضاء الحوائج من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، والنذر لغير الله، وطلب المدد والعون من الأموات ودعائهم، واعتقاد دفع الضر وجلب النفع في غير الله.. وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا لله، فمن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك معه غيره.

أما الأصغر: فهو أكبر الكبائر، وصاحبه تحت مشيئة الله يوم القيامة، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وهو كيسير الرياء والسمعة، والحلف بغير الله، ونسبة الفضل لغير الله.. وغير ذلك.

o+o+o

فصل

قول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦-٣٧]، و﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(١).

وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٧٢٩)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها**»(١).

وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: «**هن لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة**»(٣).

وعن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال له: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(٥).

٥٠٥٠٥

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٩١٣)، صحيح مسلم، كتاب الطلاق (١٤٧٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة (٥٦٣٢)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢٠٦٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزهد (٦٤٤٣)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٩٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٥٦).

باب
الشرط السابع

وهو: المحبة، وضده البغض والكره.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»**(١)، وفي رواية: **«ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»**(٢).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»**(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٣) مكرر.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود (٦٧٨٠).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ليأتين على أحدكم زمان، لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله»(٢).

وعن محمد بن سيرين، قال: قلت لعَبيدة – ابن عمرو السلماني: مخضرم –: عندنا من شَعْرِ النبي ﷺ أصبناه من قِبل أنس أو من قِبل أهل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا وما فيها(٣).

وعن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان:

أحدهما: وهو الذي يقال له محبة العامة لأجل إحسانه إلى عباده وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٥)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب (٣٥٨٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٦٤)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء (١٧٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٦٦٣٢).

ويُغض من أساء إليها، والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب.

الأصل الثاني: هو محبته لما هو له أهل وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق أن يكون محمودا على كل حال ويستحق أن يُحمد على السراء والضراء وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة.ا.هـ[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإنه لو أُعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادته لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الأول وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئا لذاته إلا الله فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة «لا إله إلا الله» ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة وكان فيه من النقص والعيب بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٤-٨٥) باختصار.

(٢) المرجع السابق (١٠/ ١٩٤).

وقال: فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته - بل استكبر عن ذلك - فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب: إما المال وإما الجاه وإما الصور وإما ما يتخذه إلها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان وقبور الأنبياء والصالحين أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أربابا أو غير ذلك مما عُبد من دون الله.ا.هـ(١).

وقال: ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالي إلا من والاه الله ولا يعادي إلا من عاداه الله ولا يحب إلا لله ولا يبغض شيئا إلا لله ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله(٢).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم يحب التوحيد لم يكن موحدا، لأنه هو الدين الذي رضيَه الله تعالى لعباده، كما قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبه، ولا بد من المحبة، لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد(٣).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس العبادة غير توحيد المـــ ... حبة مع خضوع القلب والأركان

والحب نفس وفاقه فيما يحب ... وبغض ما لا يرتضى بجنان

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) المرجع السابق (١٠/ ١٩٨).

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٠٧-٢٠٨).

ووفاقــه نفــس اتباعــك أمــره   والقصد وجـه الله ذي الإحسـان[١]

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن أحب شيئا وخضع له، فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر،ولا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه[٢].

o+o+o

(١) الكافية الشافية لابن القيم، ص(٢٢١).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢٩١) باختصار.

فصل

محبة أهل بيت النبي ﷺ من محبة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ من قرابتي»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته»(٢).

ارقبوا محمدا: أي: احفظوه.

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال لحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه»(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٢)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٨٨٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٢١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٣).

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»(١).

وعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**فقولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»(٢).

وعن أبي حميد الساعدي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٣).

o+o+o

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٦٢)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات (٦٣٥٧)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٠٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٣٦٩).

فصل

محبة أصحاب النبي ﷺ من محبة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم النبي ﷺ فقال:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فأكرم الأنصار، والمهاجره»[1]

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق، وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للمهاجرين والأنصار»[2]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٩٦١)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٨٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٧٩٧)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٨٠٤).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**»[١].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[٢].

o+o+o

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٣)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٥٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٧٨١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٧٥).

فصل

محبة المؤمنين من محبة الله تعالى ورسوله

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»(١).

وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»، وفيه «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٦٦٠)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة (١٠٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٥٤).

فصل

محبة الله تعالى لعباده المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»(١) وعن أنس بن مالك، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: إذا تقرب عبدي مني شبرا، تقربت منه ذراعا، وإذا تقرب مني ذراعا، تقربت منه باعا - أو بوعا - وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٠٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٥٣٦)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥) مكرر.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إذا أحب اللهُ العبدَ نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[١].

٥+٥+٥

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٠٩)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٧).

فصل

وضد المحبة: البغض والكُره

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٨-٩]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:٧-٨]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝٢٦ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٦-٢٨]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢].

o-o-o

باب

الشرط الثامن

وهو: الكفر بما يُعبد من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، وقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ، قال: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ، على أن يُعبد الله، ويُكفر بما دونَه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»(١).

والطاغوت: هو كل ما يُعبد من دون الله تعالى.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **الطاغوت**: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع(٢).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما صفة الكفر بالطاغوت، فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها

---

(١) أخرجه بلفظه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١٦) مكرر.

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

وتعاديهم[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت[2].

وعن أبي مالك الأشجعي - سعد بن طارق بن أشيم - عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله»[3].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه[4].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله تعالى –: وأما قوله في الحديث الصحيح: «وكفر بما يعبد من دون الله»، فهذا شرط عظيم، لا يصح قول لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه، من ترك الشرك والبراءة منه، وممن فعله فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه، وعادى مَن فعل ذلك، صار مسلما، معصوم الدم والمال؛ وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

---

(١) رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٢٥٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٣).

(٤) كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مسائل باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

ﭐسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].ا.هـ[١].

فلا يعصم دم العبد وماله، حتى يأتي بهذين الأمرين:

الأول: قوله: لا إله إلا الله، والمراد معناها لا مجرد لفظها، ومعناها هو توحيد الله بجميع أنواع العبادة.

الأمر الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، والمراد بذلك تكفير المشركين، والبراءة منهم، ومما يعبدون مع الله. فمن لم يكفر المشركين ممن عبد الصالحين كعباد القبور، وعدل عن توحيد الله إلى الشرك، وبدّل سنّة رسوله ﷺ بالبدع، فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين؛ فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرآن، فإن القرآن قد كفر المشركين، وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم[٢].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادَّعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار»[٤].

٥+٥+٥

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٤٣).

(٢) الدرر السنية (٩/ ٢٩١).

(٣) رسالة ثلاثة الأصول ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٤١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٤٩٧).

فصل

البراءة من الكفر وأهله

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧]، وقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩]، وقال: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام، ولو وَحَّد اللهَ وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].ا.هـ[1].

---

(١) ستة مواضع من السيرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٤٠).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا، بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان، وأي مكان.ا.هـ[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نواقض الإسلام: من لم يُكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلما أنذر النبي ﷺ الناس، استجاب له القليل، وأما الأكثر فلم يتَّبعوا ولم يُنكروا، حتى بدأهم بالتنفير عن دينهم وبيان نقائصه وعيب آلهتهم؛ فاشتدت عداوتهم له ولمن تبعه، وعذبوهم عذابا شديدا، وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم.

فمن فهم هذا، عرف أن الإسلام لا يستقيم إلا بالعداوة لمن تركه وعيَّب دينه وإلا لو كان لأولئك رخصة لفعلوا[٣].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن المعلوم: أن الذين أسلموا، وآمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، لولا أنهم تبرؤوا من الشرك وأهله، وبادروا المشركين بسب دينهم، وعيب آلهتهم، لما تصدوا لهم بأنواع الأذى، وذلك لأنهم أعلم الأمة بالحنيفية، وأعلم بالتوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ [الممتحنة:٤].ا.هـ[٤].

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ١٢٨)

(٢) نواقض الإسلام العشرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٥٨).

(٣) مختصر سيرة الرسول للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص(٣٤).

(٤) الدرر السنية (٨/ ٢٥٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات، فلا بد من تكفيرهم أيضا، وهذا هو مقتضى لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص؛ فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»[١].

فقوله: «وكفر بما يعبد من دون الله»: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله[٢].

o+o+o

(١) سبق ذكره قريبًا.

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).

فصل

عداوة المشركين والكفار للمؤمنين والأبرار

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة:١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]، وقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٤-٨]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]... وغيرها.

عن عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: سألت عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، «فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ لَّه جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٨).

فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» - وعد السابع فلم يحفظ -، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى، في القليب قليب بدر[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه[2] حديث الغلام والراهب والساحر، وقال فيه النبي ﷺ: «فقال - أي: الغلام - للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخُدَّت وأَضْرَمَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء (٢٤٠)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٩٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٣٠٠٥).

النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فَأَحْمُوه فيها، أو قيل له: اقتَحِم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

وعن خباب بن الأرت رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمَّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله»(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك(٢).

o+o+o

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٨٥٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (١/ ٦٧).

فصل

مظاهرة المشركين والكفار ومناصرتهم كفر

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٤-١٥].

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني

ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[١].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نواقض الإسلام: الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].ا.هـ[٢].

o+o+o

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٧)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٤).

(٢) نواقض الإسلام العشرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٥٩).

باب جامع

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذا كلــه معنــى شــهادة أنــه ... إلــه الــورى حقــا بغــير تــردد
فحقــق لهــا لفظــا ومعنــى فإنهــا ... لــنعم الرجــا يــوم اللقــا للموحــد
هي العروة الوثقى فكــن متمســكا ... بهــا مســتقيما في الطريــق المحمــدي
فكــن واحــدا في واحــد ولواحــد ... تــعالى ولا تــشرك بــه أو تــندد
ومــن لم يقيــدها بكــل شروطهــا ... كــما قالــه الأعــلام مــن كــل مهتــد
فليس على نهج الشــريعة ســالكا ... ولكــن عــلى آراء كــل ملــدد
فأولهــا: العلــم المنــافي لضــده ... من الجهل، إن الجهل ليس بمسعد
فلــو كــان ذا علــم كثير وجــاهلا ... بمــدلولها يومــا فبالجهــل مرتــد
وثانيهــا: وهــو القبــول وضــده ... هو الرد فافهم ذلــك القيــد ترشــد
كحال قريش حين لم يقبلوا الهــدى ... وردوه لمــا أن عتــوا في التمــرد
وقــد علمــوا منهــا المــراد وأنهــا ... تــدل عــلى توحيــده والتفــرد
فقــالوا كــما قــد قالــه الله عــنهم ... بســورة ص فــاعلمن ذاك تهتــد
فصــارت بــه أمــوالهم ودمــاؤهم ... حــلالا وأغنامــا لكــل موحــد
وثالثها: الإخلاص، فاعلم وضــده ... هو الشرك بالمعبود في كــل مقصــد
كــما أمــر الله الكــريم نبيــه ... بســورة تنْزيــل الكتــاب الممجــد
ورابعهــا: شرط المحبــة، فلــتكن ... محبــا لمــا دلــت عليــه مــن الهــدي
وإخــلاص أنــواع العبــادة كلهــا ... كذا النفــي للشــرك المفنــد والــدد
ومــن كــان ذا حــب لمــولاه إنــما ... يــتم بحــب الــدين ديــن محمــد
فعــاد الــذي عــادى لــدين محمــد ... ووال الــذي والاه مــن كــل مهتــد

وأحبب رسول الله أكمل من دعا　　إلى الله والتقوى وأكمل مرشد
أَحَب من الأولاد والنفس بل ومن　　جميع الورى والمال من كل أتلد
وطارفه والوالدين كليهما　　بآبائنا والأمهات فتفتدي
وأحبب لحب الله من كان مؤمنا　　وأبغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا　　كذاك البرا من كل غاو ومعتد
وخامسها: فالانقياد وضده　　هو الترك للمأمور أو فعل مفسد
فتنقاد حقا بالحقوق جميعها　　وتعمل بالمفروض حتما وتقتدى
وتترك ما قد حرم الله طائعا　　ومستسلما لله بالقلب ترشد
فمن لم يكن لله بالقلب مسلما　　ولم يك طوعا بالجوارح ينقد
فليس على نهج الشريعة سالكا　　وإن خال رشدا ما أتى من تعبد
وسادسها: وهو اليقين، وضده　　هو: الشك في الدين القويم المحمدي
ومن شك فليبقى على رفض دينه　　ويعلم أن قد جاء يوما بموئد
بها قلبه مستيقنا جاء ذكره　　عن السيد المعصوم أكمل مرشد
ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن　　إذا لم يكن مستيقنا ذا تجرد
وسابعها: الصدق، المنافي لضده　　من الكذب الداعي إلى كل مفسد
وعارف معناها إذا كان قابلا　　لها عاملا بالمقتضى فهو مهتد
وطابق فيها قلبه للسانه　　وعن واجبات الدين لم يتبلد
وما لم تقم هذى الشروط جميعها　　بقائلها يوما فليس على الهدى[(١)]

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله رحمة واسعة –: إن لا إله إلا الله، لها لفظ ومعنى ولكن الناس فيها ثلاث فرق: فرقة نطقوا بها

---

(١) الدرر السنية (١/ ٥٨٢-٥٨٣).

وحققوها، وعلموا أن لها معنى وعملوا به، ولها نواقض فاجتنبوها. وفرقة: نطقوا بها في الظاهر، فزينوا ظواهرهم بالقول، واستبطنوا الكفر والشك. وفرقة: نطقوا بها ولم يعملوا بمعناها، وعملوا بنواقضها، فهؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

فالفرقة الأولى هي الناجية، وهم المؤمنون حقا؛ والثانية هم المنافقون؛ والثالثة هم المشركون؛ فلا إله إلا الله: حصن، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب، ورموه بحجارة التخريب، فدخل عليهم العدو، فسلبهم المعنى، وتركهم مع الصورة؛ وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١) سلبوا معنى لا إله إلا الله، فبقي معهم لقلقة باللسان، وقعقعة بالحروف، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق، وذكر الماء لا يغرق، وذكر الخبز لا يشبع، وذكر السيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع.

فإن القول قشر، والمعنى لب، والقول صدف، والمعنى در، ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟!

لا إله إلا الله مع معناها، بمنزلة الروح من الجسد، لا ينتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها(٢).

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأمور هي تمام التوحيد، لأن؛ لا إله إلا الله قُيِّدت في الأحاديث بقيود ثقال: بالعلم، والإخلاص،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) مكرر.
(٢) الدرر السنية (٢/ ١١٢- ١١٣).

والصدق، واليقين، وعدم الشك - وغيرها -، فلا يكون المرء موحدا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة.ا.هـ[١].

وهذا بعض ما تضمنته هذه الكلمة العظيمة الجليلة من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت لهم للتلقي عن الله ورسوله، لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق[٢].

فليتدبر اللبيب العاقل، الناصح لنفسه، الذي يعرف: أن بعد الموت جنة ونارا، هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله - وما يناقض هذه الكلمة -، فما بعد هذا البيان بيان[٣].

وقد علمتم، معشر الموحدين ما حال بين كثير من الناس، وبين معرفة التوحيد، من العوائد الشركية، والشبهات الخيالية، لما افترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة. فلقد عظمت نعمة الإسلام على من عرفها، وقبلها وأحبها، وصار مستيقنا بها قلبه، مخلصا صادقا، ورزق الثبات والاستقامة على ذلك.

فيا لها من نعمة ما أعظمها، وموهبة ما أجملها! نعوذ بالله أن يصدف عنها صادف، أو يصرف عنها صارف، ونعوذ بالله من مضلات الفتن، ما ظهر منها

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٠٦) بتصرف.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ١٣٤) بتصرف.

(٣) الدرر السنية (٢/ ١٠٥) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بتصرف.

وما بطن. فاتقوا الله عباد الله، وارغبوا فيما كنتم فيه من نعمة الإسلام والإيمان، وجددوا، وجدوا واجتهدوا في معرفته على الحقيقة، بأدلته وبراهينه، التي نصبها عليه رب العالمين في كتابه المبين، وبينها لكم نبيه الصادق المصدوق الأمين؛ صلوات الله وسلامه عليه، وعلى من اتبعه إلى يوم الدين(١).

فالله، الله، إخواني: تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره، أسه ورأسه، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا معناها؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين؛ واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلَّفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله، وافترى؛ بل كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا: إخوانه، وأولاده؛ فالله، الله، تمسكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئًا(٢).

فاللهم أحيينا على القرآن والسنة، واجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

o+o+o

---

(١) المرجع السابق (١١/ ٢٣٧-٢٣٨) من كلام العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) المرجع السابق (٢/ ١١٩-١٢٠) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهرس الموضوعات